الله عليكي يا ست

بقلم : نجلاء لطفي

إهداء

إلى كل عشاق أغاني الست أم كلثوم وفنها الراقي

المقدمة

قبل أن تدق الساعة الخامسة مساءا أسرع للراديو وأضبطه على إذاعة أم كلثوم وفي تمام الخامسة ينطلق صوت الست أم كلثوم ليُمتعنا بفن راقٍ وصوت شجي وإحساس عالٍ تعلمنا من خلاله معاني الحب السامية.

وإلى اليوم وأنا من عشاق أغاني الست أم كلثوم التي علمتنا الحب والإستمتاع بالطرب الأصيل والفن الراقي، والتي ألهمتني كتابة تلك المجموعة القصصية التي أتمنى أن تكون على مستوى فنها الجميل.

نجلاء لطفي

أمل حياتي

لا أصدق نفسي ولا أصدق أني لن أراك مرة أخرى، هل حقا رحلت وتركتني بدون حتى كلمة وداع؟؟لم؟؟ ألا تعلم أني كنت غاضبة منك وكنت أنتظر اعتذارك؟؟تركتني دون حتى أن تعرف أني سامحتك ،تركتني ورحلت كما رحل كل من أحب وكل منهم أخذ من روحي جزءا حتى صرت جسدا بلا روح ،لكنني مضطرة أن أعيش بجسدي فقط لذا قررت أن أزورك وأبوح لك بكل ما في قلبي . هل تذكر متى بدأت قصتنا؟؟ بدأت عندما جئت إلى بيتكم طفلة كسيرة يتيمة مات أبوها وأمها حاملبها، ثم ماتت أمها وهي في الرابعة من عمرها، فاحتضنها عمها وأحضرها لبيته لتنشأ بين أولاده وكنت أنت أكبرهم وأكثرهم عطفا علي وحماية لي، لم أشعر باليتم بينكم فقد كان عمي لي كأبي وكانت زوجته تحب البنات- و لأنها لم تنجب فتاة- فعاملتني كابنتها.

منذ أن دخلت بيتكم- أنا تلك الفتاة السمراء النحيلة ذات عيون الضائعة- اتفق عمي وزوجته أن أكون لك، كبرت والكل يردد على سمعي تلك المقولة (أمل لأحمد) فكنت أعتبر نفسي زوجتك- باعتبار ما سيكون- فصرت أنا المسئولة عن ترتيب غرفتك وتلبية كل طلباتك، لم أكن أفعل ذلك مرغمة إنما كنت أعشق وجودي بقربك لعلك تمنحني نظرة حنون أو تمن علي بكلمة رقيقة تروي بها قلبي الظمآن لحبك، وفي غيابك كنت ألمس كتبك وملابسك ووسادتك لأشعر بقربي منك.كنت أعيش لك وبك، كرست حياتي كلها من أجلك وكنت أفتخر دائما بتفوقك العلمي، وكنت أذاكر وأنجح حتى تفتخر أنت بي أيضا،فكنت دوما تكافئني على نجاحي وتخاصمني إن قلت درجاتي وأنا لم أكن أحتمل خصامك يوما فكنت أبذل قصارى جهدي في دراستي لأرضيك. كم كنت أسعد بتلك الهدايا الصغيرة التي تغمرني بها كقطع الشيكولاتة التي أحبها وأربطة الشعر الملونة، وعندما فُرض علي أن أرتدي الحجاب ككل بنات القرية كانت أول طرحة هدية منك ومازلت أحتفظ بها حتى الأن وأضمها لصدري كلما افتقدتك.

كدت أطير فرحا عندما كنت من أوائل الجمهورية في الثانوية العامة ولكني حزنت لأنك اخترت الدراسة بالقاهرة فمعنى ذلك أنك ستبتعد عني لأول مرة، لكني احتملت ألام الفراق من أجل مصلحتك و مستقبلك، واشتريت لك من مصروفي رابطة عنق لترتديها في الحفل الذي أقامه عمي وحضره عضو مجلس الشعب وعمد القرى المجاورة إحتفالا بتفوقك وعندما ارتديتها كنت سعيدة لأنك قدرت هديتي. وقفت أنظر إليك وقد صرت رجلا تفوقني طولا وجسدك عريض كجسد عمي ولكن بلا امتلاء ، وبشرتك الخمرية مع شعرك الأسود المجعد وعيونك السوداء الجادة تضفي عليك مظاهر الهيبة، سعدت بك ودعوت الله من قلبي أن يحفظك ويكلل خطاك بالنجاح ليتحقق حلمي بالزواج منك.

كان علي أن أحتمل ألام الفراق وأعاني بمفردي وكلما تألمت دخلت غرفتك بحجة تهويتها وترتيبها فألتمس الدفء من أشيائك الباقية خلفك،كاد البعد أن يفتك بي لولا أملي في عودتك كل فترة، كنت كالزهرة الذابلة التي تعود لها الحياة عندما ترتوي بالنظر إليك، وكل ما كان يهون علي أننا في النهاية سنكون معا وسيجمعنا

بيت واحد. كثيرا ماغرقت في أحلامي عن شكل البيت وكيف سأختار أثاثه وكيف ستعاملني، كم كنت متشوقة لأن أبوح لك بمشاعري وأسمع اعترافك بحبي،نعم كنت واثقة من حبك لي فمعاملتك لي ورقتك معي تؤكد مشاعرك تجاهي، كنت أتذكرك كلما غنت الست أم كلثوم أغنيتك المفضلة (أمل حياتي يا حب غالي ما ينتهيش يا أحلى غنوه سمعها قلبي ولا تتنسيش، خدعمري كله بس النهارده خليني أعيش، وسيبني أحلم سيبني ياريت زماني ما يصحنيش)، كم حلمت أننا سنستمع إليها معا في بيتنا وأنك ستغمرني بحبك وحنانك لتعوضني كل مافاتنا،لكن يبدوأنها كانت مجرد أحلام مراهقة و أن البعد جفاء كما يقولون فقد اعتدت أنت على بعدك عنا فقل اهتمامك بي فلم تعد تسألني عن دراستي ولا عن درجاتي ولا تساعدني في دروسي التي لا أفهمها كما عودتني، لقد انشغلت عني بدراستك وقاهرتك التي بهرتك بأضوائها وصخبها وربما شغلتك إحدى بناتها. حقا هل يمكن أن تنشغل عني بأخرى؟؟ هل بإمكانك أن تنسى حبي بسهولة؟؟طافت بذهني تلك الأفكار وآلمتني لكني فكرت أن أجتذبك إلي مرة أخرى ،فبمجرد وصولك تزينت بمساحيق التجميل وارتديت بنطلون جينز يبرز مفاتن جسمي وبلوزة وردية اللون لتلفت انتباهك ووضعت عطر نفاذ،وبمجرد رؤيتك لي نظرت إلي غاضبا وقلت:

- إيه اللي إنتي عاملاه ده؟؟روحي إغسلي وشك وإلبسي حاجه محترمة

صدمتني كلماتك وجريت من أمامك وأنا أبكي وسمعت أمك تقول:

- ليه تكسر بخاطرها بس؟؟ هي بنت ونفسها تلبس وتتزوق زي كل البنات

-ياماما البيت مفتوح وده داخل وده خارج ومايصحش يشفوها بالمنظر ده

فقال عمي:

- لما إنت غيران كده ماتخطبها وتخلص

-لسه بدري يابابا على الكلام ده أنا لسه قدامي 3 سنين دراسة ومحتاج كل تركيزي ومش عايز أربط نفسي بأي حد دلوقتي لأني باتمنى أطلع بعثة بعد ما أخلص

-وهي هتفضل مربوطه ومستنياك كل ده؟؟

-خلاص ماتربطوهاش بيه أنا ماقلتش هاتجوزها هي أو غيرها دلوقتي أنا كل اللي يهمني مستقبلي.

فقالت زوجة عمي:

- دي يتيمه وكسر خاطرها حرام إطلع صالحها وطيب خاطرها بكلمتين

-بس ده مش معناه إني هاتجوزها

-وقت الجواز يحلها ربنا

صعدت لغرفتي وطرقت الباب ففتحت لك وأنا أمسح دموعي التي أفسدت الماكياج فصار وجهي كمهرجي السيرك فضحكت أنت وقلت:

- شوفتي إن كان عندي حق؟؟

-في إيه؟؟

-تعالي بصي

وجذبتني من يدي للمرآة ونظرنا فيها وضحكنا معا ثم قلت:

-ماينفعش تلبسي جينز وتحطي ماكياج والبيت مفتوح للي داخل وخارج ولإخواتي وزمايلهم وكل واحد يبص عليكي شوية إنتي كبرتي ولازم تخلي بالك من كده

-حاضر

-خلاص مش زعلانه

-مش ممكن أزعل منك مهما حصل

مددت يدك بمنديل وأزلت أثار المساحيق عن وجهى الخمري وعيوني السوداء ولمست أناملك شفتاي الورديتين فشعرت برجفة تعتري جسدي كله،نظرت إلي مبتسما للحظات ثم خرجت مسرعا، ترى هل شعرت بما في قلبي؟؟ أأدركت لحظتها كم كنت أحبك وأتمنى رضاك؟؟ أعرفت أن سعادتي تكمن في ابتسامتك؟؟ سعدت يومها بغيرتك علي واحتملت ألام الفراق وأنا أمني نفسي بعش الزوجية الذي سيجمعنا بعد تخرجك.حصلت على الثانوية العامة واخترت أنت لي كلية التربية لأصبح معلمة ولم أجادل فكل ما تراه أراه مناسبا لي وكل ما تريده أريده بشدة.

وجاء اليوم الذي طالما حلمت به يوم تخرجك بتفوق فقد كنت الأول على دفعتك وكانت سعادة البيت كله كبيرة ولكن سعادتي لاتوصف فأنا العاشقة المتيمة بحبك التي على وشك تحقيق حلمها بالزواج منك . أقام عمي إحتفالا كبيرا بمناسبة نجاحك حضره كل أهل البلد وذبح الذبائح ووزع على الفقراء وأقام الولائم للكبار، وبعد إنتهاء الحفل جلس معك وأدركت أن سيتحدث بشأني فوقفت أستمع لما سيقوله من خلف النافذة في الظلام ،فسمعتك تقول أنك تنوي السفر للخارج لعمل الماجستير وأنك تحتاج الكثير من المصاريف وعندما سألك عني قلت له إنك لاتفكر في الزواج نهائيا وكل ما يهمك مستقبلك وأنك تحلني من الإرتباط بك ومن حقي أن أتزوج من أريد،وبخك عمي كثيرا لكني لم أتبين الكلمات جيدا فقد كنت أترنح من هول الصدمة، هل حقا تخليت عني؟؟ ألا تبالي إن تزوجت بغيرك؟؟ ألهذا الحد كنت واهمة وكنت أظنك تهتم بي لأنك تحبني وأنت تهتم بي شفقة علي لأني يتيمة؟؟ لم أعد قادرة على الوقوف وكدت أنهار فاستندت على الجدار حتى وصلت للحديقة وجلست على أحد الكراسي ورحت أبكي كما لم أفعل من قبل.لا أدري كم مر علي من الوقت وأنا في جلستي هذه حتى أفقت على صوت عماد أخوك يقول:

- أهي أمل أنا لقيتها في الجنينه

فجاءت أمك ملهوفة وقالت:

- مالك يا بنتي قاعدة هنا ليه؟؟

-أبدا بس تعب اليوم كله خلاني مش قادرة أقف فقعدت وغلبني النوم

-الحمد لله إنك بخير تعالي اطلعي أوضتك

دخلت البيت فرأيت الجزع على وجه عمي فإبتسمت بمرارة وقلت:

- أنا أسفه إني قلقتكم عليه.

صعدت غرفتي وارتميت على سريري أحتضن وسادتي وأبكي أحلامي وأمالي الضائعة وعمري الذي سأعيشه بلا معنى، أبكي حبا ظننته سيسعدني ولكنه أشقاني،أبكي حبيبا قاسيا لايشعر بألامي.

سافرت وأخذت قلبي معك وصرت أعيش بجسدي فقط ، جاء لخطبتي الكثيرون إما طمعا في ميراثي أوفي نسب أسرتي ونفوذ عمي العمدة، أو رغبة في جمالي إلا أني رفضتهم جميعا لأني صرت حطام إنسانة ولا قدرة لي على الحب والعطاء.لم يرغب عمي في الضغط علي أو إجباري على الزواج بمن لا أرغب إنما كان مشفقا علي مما فعلته بي وكان يشعر بالذنب تجاهي، فكنت كثيرا ما أمزح معه قائلة:

-إنت زهقت مني يا حاج وعايز تزحلقني وخلاص؟؟

- ده انتي نوارة البيت بس عايز اطمن عليكي قبل ما اموت

-ربنا يديك الصحه بس لسه النصيب ماجاش

كان يستسلم لرغبتي في النهاية ويقول:

-كله بأوانه.

وزاد الأمر سوءا عندما نزلت في أجازتك ومعك زوجتك الأجنبية فكان غضب عمي عظيم وأثارعاصفة لم تهدأ إلا عندما تدخلت أنا وقلت له أمام كل العائلة وأمام أحمد:

- ياعمي هو حر يتجوز اللي عايزها أحمد بالنسبة لي أخ مش أكتر وهيفضل هو وكل ولادك إخواتي اللي بحبهم وأفرح لفرحهم وعشان خاطري ياعمي ماتزعلوش ولا تكسفه قدام مراته ، وبعدين دي فرصة ياعمي تخش العيلة خواجايه ملونة عشان تجيب لنا قمرات

ضحكت وقلبي يبكي ألما، لكني أخفيت ألامي وقبلت يد عمي ودخلت حجرتي وبكيت بشدة فدخلت ورائي أمك وإحتضنتني وقالت:

- طول عمرك عاقلة وقلبك كبير يا بنتي وربنا يعوضك باللي أحسن منه هو ابني بس هو الخسران

ارتميت في حضنها وبكيت فضمتني وربتت على كتفي بحنان، فهي وحدها كانت تشعر بما في قلبي تجاهك وتشفق علي من قسوتك.

تخرجت من الجامعة وعملت بمدرسة المركز بناءا على رغبتي فلم أكن بحاجه للراتب بقدر حاجتي للعمل والإستغراق فيه حتى أنساكولكن كيف أنسى من يسري مع الدماء في شراييني؟؟كيف أنسى قلبي وحلم عمري؟؟ هل يستطيع المرء أن ينسى نفسه؟؟ تجرعت مرارة الوحدة والفراق الذي كان قدري، وزادت مرارتي بفقد عمي فعندها شعرت باليتم حقا فقد كان لي أبا وسندا في الدنيا.

كنت ألتقي بك في زياراتك الخاطفة فيدق قلبي من جديد وتعود الحياة لجسدي للحظات حتى تنتهي الزيارة، لم أستطع النسيان وأدركت أنني لا أرغب في نسيانك بل وأني سامحتك وبقي حبك يملأ كل كياني ولم أعد أريد منك شيئا إنما اكتفيت بنظرات تروي عطش قلبي وروحي وابتسامة تغمرني بها أنسى معها كل ألامي، نعم كان هذا منتهى أملي في الدنيا يا من كنت أمل حياتي.

خلت الدار من سكانها حيث انتقل كل واحد من إخوتك لمدينة بحثا عن حياة أفضل وبقيت أنا وزوجة عمي بمفردنا في البيت نعيش حياة بارة روتينية لا يكسر رتابتها سوى قدومك أنت أو إخوتك مع الأولاد وصخبهم وضجيجهم الذي يعيد الحياة للبيت الميت. كنت أعشق أولادك محمد ومايا وأدللهم كثيرا وأسعد بزيارتهم خاصة وأن زوجتك كانت تكره المجئ هنا فكانت تزيح عن قلبي عبء إستقبالها وتصنع الترحيب بها، فلم أحبها يوما ولم أغفر لها أنها من إنتزعتك مني وأنها من نالت إعجابك وحبك دوني، كما أنها لم تحبني أيضا يبدو أنها كانت تشعر بما في قلبي تجاهك، فكان بيننا عداء خفي.

ومع الوقت رفض أولادك وأولاد إخوتك القدوم أيضا لأنهم أصبح لهم عالمهم الخاص ولم تعد حياة الريف تبهجهم وصار مجيئك ومجيء إخوتك لزيارتنا قليل فزادت كآبة الحياه وصارت الأيام كلها متشابهة،لكني كنت راضية بتلك اللحظات القليلة التي أراك فيها وأسرقها من عمر الزمان لأسعد بها وحدي، فكنت كالأرض البور التي تزهر مع حبات المطر القليلة.أدركت أمك أني مازلت أحبك ولن أكون لسواك فكفت عن الإلحاح علي لأتزوج لتفرح بأولادي، بل وربما سعدت بذلك القرار خاصة أنها كبرت وصارت بمفردها وكنت أنا من أؤنس وحشتها.

ذات يوم أتيت لزيارة أمك وكنا في شوق لزيارتك أنا وهي ولكنك جئت شاحب الوجه ،منهك القوى ففزعنا واتصلنا بطبيب القرية الذي أخبرنا بضرورة نقلك بالإسعاف لمستشفى المدينة لسرعة إنقاذك من جلطة في القلب. إتصلت بعماد أخوك لأنه الأقرب في المسافة لنا وركبت انا وأمك سيارة الإسعاف ونحن نبكي ونبتهل لله أن ينجيك. دخلت المستشفى وكان مديرها زميل لك فطمأننا وأكد لنا أنه سيبذل قصارى جهده لإنقاذك.مرت علينا الدقائق كأنها الدهر كله ونحن نخشى أن يصيبك سوء، كم دعوت الله أن ينجيك من أجلي فلو مت انتهت حياتي ، خرج الطبيب وطمأننا أن حالتك مستقرة ولكنك ستظل تحت الملاحظة حتى يطمأنوا عليك. حمدنا الله وطلب منا عماد ان نتركه ونعود نهارا فرفضنا ولكنه أصر فقلت لأمك:

- خلاص روحي إنتي وهافضل انا جنبه ولو حصل أي حاجه هاكلمك على طول والصبح أمشي أنا وتفضلي إنتي.

وافقت على مضض ولكنها كانت تعرف أنني سأراعيك مثلها، جلست بجوارك بعد أن رشوت الممرضة لتسمح لي بذلك وبقيت أتلو القرأن وأدعو الله أن يشفيك، وقرب الفجر فتحت عينيك بوهن ونظرت إلي وارتسمت على شفتيك إبتسامة باهتة ثم أغمضتهما مره أخرى، حمدت الله على إنك رأيتني بجوارك وأنك بدأت تتعافى. جاءت الممرضة لتعطيك بعض الأدوية وطلبت مني مغادرة الغرفة حتى لاتتعرض للأذى من الأطباء فوافقت، وصورة إبتسامتك لم تفارق عيني. وفي الصباح الباكر جاءت أمك وعماد فاضطررت للعودة للبيت ، حاولت أن أنام ففشلت فقمت لأرتب غرفتك إستعدادا لعودتك ، أخرجت بيجامتك ورحت أضمها لقلبي وأغمرها بقبلاتي لعلها تصلك، وبينما أنا منهمكة في الترتيب اتصلت أمك وأخبرتني أنكم قادمون بعد ساعه. كدت أطير فرحا فها أنت ذا ستعود إلي سالما، وبمجرد أن رأيتك لم أتمالك نفسي وبكيت وقلت:

- حمد الله على سلامتك خضيتنا عليك يا أحمد

-الله يسلمك..قلتها برقة نسيتها منذ زمن ربما كانت بفعل المرض والضعف و أنا أتخيلها بتأثير الحب، فخيالات المحبين يحلو لها أن تصور كل شيء وفقا لهواها.

أقمت بيننا أسبوعين كنت لا أفارقك إلا للنوم أعطيك دواؤك وأطعمك وأقرأ لك رسائلك على الإيميل وعلى الموبايل وأرد على اتصالاتك ما عدا اتصالات زوجتك التي عرفت بمرضك ورفضت أن تقطع زيارتها لإنجلترا طالما أن حالتك ليست خطيرة. خلال تلك الفترة قويت المشاعر بيننا حتى إنك بعد مرور أسبوع وبينما أنا أعطيك الدواء أمسكت يدي- وقلبي يخفق بقوة حتى كاد أن يخرج من بين ضلوعي – وقبلتها بمنتهى الرقة وأنت تنظر في عيني وتقول:

- مش عارف أشكرك إزاي على كل اللي عملتيه معايا

فقلت وأنا مرتبكة ومضطربة :

- لاشكر على واجب يا بن عمي ده حقك عليه

-إنتي عملتي اللي أكتر من الواجب، عملتي اللي مراتي ماعملتهوش

قلت ذلك وأنت مازالت ممسكا بيدي وعندها دخلت زوجة عمي ونظرت لنا وقالت بحسم:

-يا أمل شوفي الأكل يا بنتي وأنا هاقعد مع احمد لأن رجليه وجعتني

-حاضر يا ماما-كما إعتدت أن أناديها- أنا نازله

خرجت مرتبكة وقلبي يقفز فرحا ولكني سمعتها تقول:

- حرام عليك تعلقها بيك تاني وتعذبها تاني

-ياماما أنا كنت باشكرها

-أحمد إنت مبسوط بمشاعرها اللي بترضي غرورك لكن عمرك مافكرت هي بتتألم أد إيه ماتبقاش أناني ،إنت رفضتها زمان وفضلت الأجنبيه عليها يبقى سيبها في حالها كفايه دمرت حياتها وخليتها مش عارفه تتجوز غيرك.

-أنا مستعد أتجوزها حالا

-ده قرار إنفعالي دلوقتي لكن لما ترجع مراتك وولادك هترميها تاني

-مراتي وولادي؟؟ اللي مافكروش فيه وانا مرمي عيان؟؟ وهي اللي شالتني تبقى هي اللي تستحقني، أنا هاتجوزها وأعوضها اللي فات.

-فكر بعقلك قبل ما تاخد أي قرار لأني مش هاسمحلك تجرحها تاني.

سمعت حوارهما الذي زادني إضطرابا ،هل حقا يقدرني ويفكر في الزواج بي أم أنها مجرد مشاعر في لحظة ضعف؟؟ وأين سنعيش هنا أم في القاهرة حيث زوجته وأولاده؟؟هل سيخبرهم أم سيكون زواجا سريا؟؟ هل حقا يحبني أم أنه يحتاج من تخدمه في كبره؟؟ظل هذا السؤال الأخير يدور في رأسي ويبدد كل أحلامي بالسعادة معه.

في المساء اعتكفت بحجرتي مدعية الإرهاق حتى أبتعد عنه وأترك له ولنفسي مساحة كافية للتفكير. كان قلبي يرقص فرحا لإحساسه بي وبمشاعري أخيرا،بينما كان عقلي يحذرني أنه يحتاج لي لتعويض ما لاتفعله زوجته لكن قلبه وحبه لها ولأولادها، ظللت أتأرجح بين قلبي وفرحته الطاغية وعقلي ومخاوفه اللانهائيةمن جرح جديد، حتى طرقت زوجة عمي الباب ودخلت مبتسمة وقالت:

- تعالي أحمد عايزك في حاجه مهمه.

خرجت معها وأنا أعلم ماذا يريد ولكني لا أعلم بم سأجيب،قلت بيني وبين نفسي (يارب اكتب لي الخير). دخلنا غرفة أحمد وهو جالس على سريره مبتسما وقال:

- تعالي يا أمل عايزك في موضوع مهم

-خير يا أحمد فيه حاجه؟

-أنا بعد اللي حصلي وكل اللي عملتيه معايا فكرت إني ما أقدرش أستغنى عنك ومحتاجلك معايا وعايزك تكوني مراتي.

سكت للحظات ليرى وقع الكلمات على نفسي ،فحاولت أن أتماسك حتى لايبدو على أي شئ مما يدور بداخلي، ثم قال:

-طبعا إنتي عارفة ظروفي وهتقدريها مش هقدر أعرف مراتي وأولادي بجوازنا لكن هنعرف كل أهل البلد هنا وهتفضلي عايشه هنا وهاجيلك خميس وجمعه وفي أجازات الأولاد اللي بيقضوها مع والدتهم بره

هاخدك معايا، انا ما أقدرش أطلق فيكي عشان الأولاد ومش قادر أستغنى عنك وعارف إني جاي عليكي بس عارف برضه إنك بنت عمي وهتضحي عشاني قلتي إيه؟؟

سكت للحظات ثم قلت:

- سيبني أستخير ربنا وأرد عليك

لم أتخيل يوما أن هذه ستكون إجابتي على طلبه للزواج مني ، لكني رغم فرحتي كنت أشعر بإنقباض في قلبي وعقلي لم يكن راضيا تماما، فكان دائما يقول لي هكذا يراك في المرتبة الثانية، زوجه في الظل، إمرأة لا تستحق أن يعلنها زوجته أمام الناس،هل التضحية مفروضة علي أنا وحدي؟ ألا أستحق أن يُضحي بجزء من سعادته لأجلي؟؟ هكذا كان عقلي يتساءل بينما قلبي يقول:حلم العمر سيتحقق، حبيب العمر أخيرا سيكون لك حتى لو يومين المهم أن تعوضي ما فاتك، وبين عقلي وقلبي كنت حائرة. قضيت وقتا طويلا أصلي وأدعو الله أن ينير بصيرتي حتى غفوت ورأيت في منامي أني على ظهر مركب مع أحمد وهو يغمرني بحبه ومشاعره وفجأه قامت رياح عاصفة وأطاحت بي ورمتني في قلب البحر وأنا أستغيث بأحمد لينقذني وهو جامد في مكانه لايتحرك حتى كدت أغرق وفجأة ظهرت لي يد لتنقذني لكني لم أعرف يد من تلك، قمت من نومي مفزوعة وأنا أستعيذ بالله. كان علي اليوم أن أعود لمدرستي فقد انتهت إجازتي فنزلت مسرعة حتى لا ألتقي بزوجة عمي ولا تسألني عن رأيي فذلك الحلم زاد من انقباض قلبي ومن حيرتي. قضيت اليوم وأنا شاردة في أفكاري وفي ذلك الحلم الذي لم يفارقني طوال اليوم، عند عودتي طلبت من زوجة عمي أن أصعد بالطعام لأحمد وأعطيه الدواء، حاولت تفادي ذلك لكنها أصرت، فصعدت إليه وأعطيته دواؤه وتركت له الطعام وعند انصرافي قال:

-أمل أنا مستني ردك وعارف إنك خايفه أجرحك بس ادیني فرصه جديده وأوعدك إني هاسعدك

قالها وهو يمسك بيدي وفي تلك اللحظة دخل ابنه محمد ورأنا هكذا فسحبت يدي في إضطراب فقال ساخرا:

-يعني لاعيان ولا حاجه بالعكس ده إنت شايف نفسك على الأخر يا دكتور

-أهلا يا محمد حمد الله على السلامة دي عمتك أمل كانت بتديني الدوا

-طبعا وفي إيديها الشفا أنا شفت بعيني بس ما إنت عارف إن الدوا المستورد مفعوله أسرع وأقوى فمالهاش لازمة الرمرمه

فوجئت بكلماته وأسلوبه الوقح وفوجئت أكثر بصمت أحمد وعدم رده، قررت أن أخرج وأترك لهم الغرفة فقال محمد بمنتهى الوقاحة :

- خليكي ياعمتي أصله ما بيخفش غير في وجودك

إلتفت له غاضبة وقلت:

- هو كان لقى حد تاني غيري وهو عيان يراعيه ؟؟ وبعدين الجسم بيخف في المكان اللي بيحبه ويرتاح فيه وهو جالنا من عندكم عيان.

- أفهم من كده إنه بيحب هنا وبيرتاح معاكي؟؟

فقلت بغضب عارم:

- لو كانت أمك الإنجليزية ماعلمتكش الأدب فاسمح لعمتك المصرية تعلمك

ورفعت يدي وصفعته على وجهه وسط ذهوله وذهول أحمد ،ثم قلت:

-أبوك أبن عمي اللي إتربيت معاه ومافيش بيننا غير كده وإنت لأنك تربية أجانب ماتفهمش أي علاقة بين راجل وست غير بشكل قذر فأحب أفهمك إن العلاقه اللي بتجمعني بأبوك أخوه وبس ولو أي واحد من أعمامك هو اللي كان تعبان كنت هاعامله نفس المعامله بس ربنا يكرمهم ستاتهم ما بيسبهومش لحظة واحده ودايما مراعينهم مش مخلينهم محتاجين لحد. عموما أبوك عندك وإتحسن عايز تاخده للإنجليزيه تراعيه ده لو تعرف خده.

تركتهم وإنصرفت وسمعت محمد يقول له:

- يالا بينا والبيت ده مش هندخله تاني طول ما العقربه دي فيه

إلتفت لك منتظرة منكأن توبخه أو حتى تدافع عني فوجدتك صامتا بل وتستعد للرحيل معه. صدمني رد فعلك السلبي لكن يبدو أني كنت أتخيلك في صورة تختلف عن حقيقتك وهكذا كانت حقيقتك دائما لكن لم أرها إنسان أناني يريد أن يأخذ ولا يعطي، يتركني أغرق ولا يمد يد العون، ضعيف أمام زوجته وأولاده، حتى عنده إستعداد أن يتخلى عن أمه ليرضي ولد لا يعرف الأدب.

يبدو أني كنت أحتاج لمثل هذا الموقف لأعرف حقيقتك وأراك كما أنت لاكما يصورك خيالي، فعين المحب لا ترى عيوب الحبيب. كانت صدمتي فيك تفوق الوصف وبدأت أسترجع الأحداث وأراك في كل وقت تحاول أن تأخذ مني بقدر ماتستطيع ولا تعطيني في المقابل شيئا وكنت أسعد بهذا العطاء وأظن أنك ستقدره ولكن الأنانيين أمثالك لايقدرون أحد إنما يعيشون لإمتصاص طاقة العطاء لدى الأخرين حتى أخر نقطة فيها.

مضت حياتي بعدك باهتة بلا لون أو طعم حتى مرضت أمك مرضا شديدا وكنت أنت في الخارج فأرسلت لها أحد الأطباء ممن يعرفونك وأخبرنا أنها في لحظاتها الأخيرة ولن يجدي الطب معها، إتصل بك عماد ليطلب منك الحضور ولكنك تعللت بأن لديك مؤتمر هام. كان عماد وباقي إخوتك لايفارقونها إلا للذهاب للعمل و كذلك كمال جارنا وصديق طفولتك كان يأتي إلينا كل يوم للإطمئنان عليها ويتصل بي يوميا من المركز ليسألني إن كنت أحتاج لأي شئ ليحضره معه. مر على مرض والدتك 10 أيام حتى توفيت بعد أن صلت الفجر،إنهرت بجوارها باكية فقد شعرت بفقد أمي للمرة الثانية ،بل وبكيت كما لم أفعل عند موت أمي، فقد كانت لي نعم الأم في طيبتها وحنانها ونصحها لي، كان الغرباء يظنونها أمي حقاولم يتخيل أحدا

منهم أنها زوجة عمي. أتيت أنت في ثالث أيام العزاء فتجنبت لقاءك وبعد إنتهاء أيام العزاء فكرت أن أترك البيت وأشتري بجزء من ميراثي بيت لي ولكن عماد رفض بشدة وقال:

-المرحومه كانت موصياني إنك تفضلي فاتحه البيت دي حتى كمان كتبتلك نصيبها في البيت بإسمك عشان ماتحسيش بحرج مننا وتبقي قاعدة في ملكك.

بكيت كثيرا لفراقها فكما كانت تحمل همي في حياتها كانت تحمل همي عند وفاتها، يالها من أم عظيمة.

مر عام على رحيل أمك وعماد وزوجته يسألون عني بإستمرار وكمال إكتفى بالإتصال على فترات متباعدة خوفا علي من كلام الناس وخاصة وأنه أرمل. وعلمت من عماد أنك مرضت بشدة وسافرت إنجلترا للعلاج وعندما ساءت حالتك عادت بك زوجتك للقاهرة وطلبت من عماد أن يأتي ليأخذك لأنها لم تعد تتحمل خدمتك، تخلت عنك هي وأولادها رغم أنك فضلتهم على أمك وعلى نفسك. أحضرك علاء لمستشفى المدينة وبقيت في الرعاية فاقد الوعي لعدة أيام فكنت أنا وعماد وكمال نتبادل العنايه بك ، وعندما رأيتك وأنت بلا حول ولا قوة نسيت كل إساءتك لي وتذكرت فقط طفولتنا معا وتذكرت أنك ابن عمي الذي آواني وأحسن إلى وراعى أموالي وان تلك المرأة التي كانت لي أما فكان يجب أن أغفر لك إكراما لذكراهما. بقيت فاقدا للوعي لاتدرك أنك معنا أو أن زوجتك وأولادك تخلصوا من حملك ورموك بعيدا عن بيتك حتى صعدت روحك لربها وتركتني وحدي كعادتك بلا كلمة وداع ولا لحظة حب أتذكرك بها وأعيش عليها باقي عمري، كنت أنت أمل حياتي واليوم ضاع هذا الأمل فلمن سأعيش.

أفقت من جلوسي أمام قبره ومن خلال دموعي رأيت كمال وهو واقف بجواري ونظرات الحزن بعينيه وقال:

- لسه بتحبيه؟؟

-ده ابن عمي وإتربينا سوا

-أنا كنت عارف مشاعرك ناحيته وكنت عارف إنه مش بيحبك لكن حبك له كان بيرضي غروره زي أي راجل شرقي بيحب إنه يتحب ويتباهى بالحب ده.

-كنا لسه عيال لكن كبرنا ومشاعرنا إتغيرت والدنيا عرفتنا حاجات كتير.

-ممكن أسألك ليه ما اتجوزتيش؟؟

-مالقيتش الراجل اللي عاوزني لنفسي كل واحد عايزني عشان يناسب العيله الكبيرة أو يحط إيده على الورث بتاعي، لكن محدش فكر يعوزني لأني أمل وبس وإنت ليه ما اتجوزتش بعد مراتك كنت بتحبها للدرجة دي؟؟

-أنا كنت باحب واحده تانيه لكن عمرها ما حست بيه لكن منى كانت زميلتي في الكلية إنسانه هاديه وعاقله وبسيطة ،كان بيننا تفاهم وإحترام ، كانت عارفه ظروفي الماديه وإستنتني لحد ماقدرت أتقدم لها عشنا مع بعض 10 سنين عملت فيهم كل اللي تقدر عليه عشان تسعدني وأنا كمان كنت باحاول أسعدها على أد ما

أقدر لكن للأسف ماقدرتش أحبها لكن عمري ما زعلتهاوبعد ماماتت خفت اتجوز واحده تانيه تضايق مريم بنتي وماتكونش لها أم .

-واللي بتحبها طبعا اتجوزت وخلفت؟؟

-لأ بس لسه مش حاسه بيه

-مافكرتش تقولها مشاعرك يمكن تكون بتحبك ومستنياك تتكلم؟؟

-تفتكري؟؟يعني لو قلتلك بحبك هتقدري مشاعري ولا هاخسرك؟؟

لم أستطع للحظات إستيعاب كلماته ونظرت إليه وأنا مذهوله فقال:

-أيوه ياأمل بحبك من زمان لكن الفرق الكبير اللي بيننا وحبك لأحمد كانوا حاجز ضخم بيني وبينك ، أرجوكي حتى لو مش هتقبلي حبي خلينا مجرد جيران نتقابل ونتكلم وماتحرمنيش من ده.

-أنا قلبي إتفقل من زمان وما اعرفش لسه عندي القدرة على الحب ولا لأ.

- أنا راضي إنك تديني وتدي لنفسك فرصه ، إحنا دلوقتي محتاجين لبعض أكتر خليني جنبك يمكن أقدر أعوضك اللي فاتك.

-كلام الناس مش هيرحمنا.

-خلاص نتجوز

-في السن ده؟؟

-الجواز في أي سن مش عيب ولا حرام، فكري وردي عليه وأيا كان ردك هافضل أحبك.

تركته ومشيت وأنا أفكر في كلامه وقلت لنفسي لقد أمضيت عمري في حب من لايحبني فلم لا أجرب أن أعيش مع من يحبني، فكل منا يحتاج أن يحب وأن يجد من يحبه، وقلوب النساء تستجيب لنداء الحب ومشاعره أسرع من قلوب الرجال، وحتى إن لم أحبه فلن أكرهه وسأستمتع بحبه، كذلك أنا أحتاج من يؤنس وحدتي وأن تكون لي أسرتي وهو أيضا يحتاج من يرعى ابنته ويرعاه. كلمت عماد لأخذ رأيه هو وزوجته فرحب كثيرا ومدح لي فيه وفي أخلاقه وبارك زواجنا وقالت لي زوجته :

-إنت جربتي سنين تستني اللي بتحبيه لما أجمل سنين عمرك ضاعت وأهو ربنا بيعوضك بواحد بيحبك ماتضيعهوش من إيدك وتخلي الوحده تنهش اللي باقي من عمرك.

تم الزواج في هدوء لكن كل البلدة عرفت بزواجنا وانتقلت لبيته، عاملني كمال كالأميرات ، وغمرني بحبه وحنانه، كما سعدت بوجود مريم في حياتي وتذكرت زوجة عمي ومعاملتها لي وحاولت أن أكون لها أما او على الأقل أعوضها غياب أمها فكنت لها صديقة لا زوجة أب وكانت لي ابنتي التي لم أنجبها فهي

طفلةرقيقة تشبه أباها كثيرا بتلك العيون الملونة مع البشرة الخمرية والشعر الأسود الناعم وبهدوءه ورقة مشاعره.

وذات يوم كنت أجلس مع كمال ونحن نستمع لأم كلثوم وهي تشدو(أمل حياتي ياحب غالي ما ينتهيش) فقال لي كمال:

- كنت دايما باغني الأغنية دي وأقول انتي أمل حياتي ياترى هيتحقق، وأخيرا ربنا كافئني بتحقيق أغلى أمل في حياتي.

-مش عارفة هتصدقني ولا لأ لكن أنا كنت فاكرة زمان إني عرفت الحب لكن اكتشفت إني ماعرفتش الحب غير معاك واكتشفت إن الحب مش مجرد مشاعر وكلام حلو وبس لأ ومعامله ومواقف وخوف على اللي بتحبه وغيره عليه ولهفه ،أحيانا بنفتكر إننا بنحب وبنزعل لما بيضيع الحب ده أتاري ربنا بيكون شايلنا مكافأه أكبر على صبرنا وإنت كنت مكافأتي اللي هافضل العمر كله أشكر ربنا عليها

أنت فعلا أمل حياتي اللي أتمنى أكمل عمري معاه وأسعده زي ما أسعدني.

تمت

تفيد بإيه يا ندم؟!!

ماهذا الرجل ؟؟ لماذا يرتجف كل جسدي حينما أتحدث معه؟؟ لماذا لاأرغب في أن أرفع عيناي عنه؟؟ لماذا أطيل الحديث معه لأي سبب؟؟ لماذا يدق قلبي بقوة عندما أراه أو أحدثه؟؟ له تأثير كالسحر على نفسي .رغم إنه انتقل إلى العمل معنا كمدير للشركة منذ شهر لاأكثر لكني لم أستطع مقاومة تأثيره وهو مالم يحدث لي مع أي رجل من قبل حتى ولا زوجي،فتعتريني رجفة في وجوده ويضطرب كل كياني بلا سبب محدد ،فكل كلامي معه في إطار العمل وليس بيننا أي كلام خاص.ماهذا الإحساس ولمَ أشعر به معه وحده؟؟ولماذا لا أشعر هكذا مع زوجي؟؟ ربما لأني لا أحبه ولكن هل أحب مديري؟؟ وربما لأن زوجي شخص عادي لدرجة الملل فلا جديد في كلامه ولا حياته ولا ملابسه ولا حتى روتينه اليومي،أما الأستاذ عادل مديري فكلما تحدثنا أجد كلماته منمقة وأسلوبه في الحديث شيق ويتميز بخفة ظل شديدة، ويحرص على رشاقته بشكل رهيب حتى أن الجميع يرونه مثالا للأناقة رغم كبر سنه فهو يقارب الخمسين لكنه يرتدي أحدث الموديلات وكل يوم ملابس مختلفة عما قبله.

عملي معه قلب حياتي رأسا على عقب وبعدما كنت راضية بحياتي مع زوجي صرت ناقمة عليه وأفتعل المشاجرات معه ، كم كنت أحلم بزوج كعادل يجعل لحياتي مذاق متميز ولكني للأسف وقعت في كمال ذلك الروتيني الأشبه بالباشكاتب في أفلام الأبيض و الأسود، حتى أنه فاقد للطموح ولايفكر في أي تطور في عمله أو أي مكسب إضافي. صارت حياتي في البيت جحيم لايطاق، بينما كنت أجد سعادتي فقط في اللحظات التي تجمعني بعادل. لا أعلم هل حقا يهتم بي؟؟ هل حقا كلماته تعبر عما أراه في عينيه من إعجاب لايقدر على البوح به لظروفنا؟ أم أني واهمة وأني فقط أتمنى حدوث هذا؟؟

كلما مرت بي الأيام وأنا أزداد تعلقا بعادل ، وأزداد نفورا من كمال، حتى ذهبت في مأمورية عمل مع عادل ومدير مكتبة الأستاذ خالد ومدام هناء مديرتي المباشرةلم أعرف لماذا تم اختياري فلست أكفأ محاسبة في الشركة ولا الأكثر خبرة،لكني حقا سعدت بها لأنها فرصة للتقرب من عادل والهروب من كمال.كانت المأمورية في الإسكندرية وتم حجز غرفة مشتركة لي ولمديرتي وغرفة منفصلة لكل عادل ومدير مكتبه. كنا نقضي النهار في العمل ثم نعود للغداء في الفندق وبعد الظهر من حق الجميع التصرف بحرية فكنت أفضل البقاء مع مدام هناء في الفندق وخاصة وأنه يطل على البحر، بينما يخرج الرجلان ولا نراهما إلا في الصباح.كان عادل خلال اليومين أكثر تلقائية ومرحا مع الجميع وكان حديثنا على الإفطار والغداء يتناول العمل والقليل عن حياتنا الشخصية وعرفت من خلالها أنه زوج وأب لثلاث أبناء ويحترم زوجته ويقدرها كثيرا لأنها وقفت بجواره حتى وصل لمنصبه وتركت عملها وتحملت عبء الأبناء بمفردها حتى لاتشغله عن طموحه،فأدركت أنه سعيد في حياته وأني كنت واهمة ولا أمل في الوصول لقلبه.

حتى جاءت الليلة الأخيرة في المأمورية ، وكنت فيها بمفردي معه على الغداء- لأن مدام هناء سافرت بسبب ظروف شخصية في بيتها والأستاذ محمد استدعى أسرته للإسكندرية ليقضي معهم يوم الخميس والجمعة والسبت وخاصة أن مهام عمله انتهت – كنت مضطربة من شدة سعادتي لأننا لأول مرة بمفردنا ، لكنه

شعر بارتباكي فظل يحدثني عن شبابه ومغامراته والمشاكل التي سببها لوالديه في فترة مراهقته وشبابه وكيف أنه كان شديد الجموح ويبدو أن ابنه يشبهه في ذلك كثيرا ، وضحكنا كثيرا حتى زال ارتباكي وتحدثت معه عن شبابي وطموحاتي وأحلامي التي لم يتحقق منها شئ بسبب الزواج والحياة الروتينية، وكيف أن زوجي شخص راضي لأقصى درجات الرضا ،لايحلم بشيء وليس لديه أية طموحات حتى أنه أحبطني وحطم أحلامي. كانت نظرات عينية تحمل الكثير من المعاني التي احترت في تفسيرها فسألني عما سأفعله بعد الغداء فقلت (لاشئ) فطلب مني أن أقابله في بهو الفندق ليريني إسكندرية التي تتألق في الليل أكثر من النهار ، وافقت بالطبع وحاولت أن أكبح جماح مشاعر السعادة التي تكاد تفضحني كمراهقة تذهب لموعدها الغرامي الأول.

ذهبت لغرفتي وأخرجت كل ملابسي لأرى أيهم يجعلني أكثر جمالا وارتديتهم جميعا وألقيت عدة نظرات متفحصة أمام المرآة حتى اخترت ثوبا أزرق يجعل وجهي الأبيض مشرقا ويبرز جمال عيناي وزرقتهما كما أنه يظهر بياض بشرتي ناصعا، والأهم أنه يبرز مفاتن الجسدي وهي الوحيدة التي لم يؤثر عليها الزواج سلبا، كما أطلقت لشعري الأسود العنان وهو مالم أفعله منذ سنوات وكأني أتمرد على كل ما سبق في حياتي. في تمام السابعة كنت في بهو الفندق وقلبي يخفق بشدة لا أعلم أيخفق من السعادة أم من الخوف مما سأقدم عليه من مغامرة قد تغير مجرى حياتي؟ لم أهتم كل ما كان يهمني أنه أخيرا سيكون لي لعدة ساعات سأعيش على ذكراها باقي عمري ، سويعات أخطفها من عمر الزمن لاأريد في الكون سواها، نسيت زوجي ونسيت حتى أن أكلم أمي لأطمئن على حمادة ابني ذو الأربع أعوام الذي ترعاه في غيابي، نسيت أو تناسيت زوجته وأولاده،نسيت العالم كله ولم أفكر إلا فيه وأني سأكون معه وسأنهل من نبع السعادة بقربه.

جاء في كامل أناقته بملابس غير رسمية جعلته يبدو أكثر شباب ووسامة فكان يرتدي بنطلون جينز وقميص مقلم أبيض بأزرق فاتح فبدت بشرته السمراء أكثر جاذبيه وعيناه العسليتان تزدادان خطورة على قلبي ،ورسم على وجهه ابتسامة عذبة تذيب الحجر ومد يده بحركة تلقائية وأمسك بيدي التي ارتجفت ثم استسلمت للمسته الرقيقة، حتى وصلنا لسيارته ففتح لي بابها وركبت ومازالت تلك الرجفة تعتريني من شدة السعادة.

إنطلق بي يجوب بي طرقات الإسكندرية وجلسنا على أحد الكافيهات على البحر نتحدث ونضحك كأننا نعرف بعضنا من سنوات، ثم قام واقفا فجأة ومد يده إلي فاستجبت له بلا مقاومة وأخذني إلى حيث الشاطئ الرملي وقال لي (اخلعي حذائك) فخلعته بلا مناقشه فأخذني حتى وصلنا لحافة البحر ووقفنا نتأمله في الليل والموج يلامس أقدامنا والنجوم تحيط بنا ومازالت أيدينا متشابكة ، لم أدر كم من الوقت مر علينا ونحن هكذا لكني أفقت على صوته وهو يطلب مني أن نغادرلأن الوقت تأخر.عدت للسيارة وأنا شبه مخدرة من تأثير لمسة يديه ، عدنا ولم نعد كما كنا من قبل، هناك شئ جديد بيننا، شيء لم نعرف تحديده لكنه كان يسعدنا ،شئ أدركناه في نظراتنا، في لمسات أيدينا ،في دقات قلوبنا،ساد الصمت بيننا للحظات حتى قال:

- هل أنتي سعيدة؟؟

فقلت:

- الأن فقط لأني معك

عندها قالت العيون مالم تقله الشفاه،عندما نزلنا من السياره أمسك بيدي بقوة وبطريقة مختلفة عما فعل قبل ذلك، رغم سعادتي إلا أني شعرت بالخوف من نفسي فأنا أضعف أمامه وأفعل معه مالم أفعله من قبل، ماذا سيظن بي أني إمرأة لعوب تتساهل مع كل الرجال؟؟ يكفي ماحدث اليوم ولن أسمح بالمزيد.ركبنا المصعد وسط حشد من الناس حتى وصلنا للطابق الذي فيه حجرتينا ، أصر أن يوصلني لغرفتي ليطمئن علي ، وصلنا لباب الغرفة وشكرته على الليلة اللطيفة التي لم أقض مثلها في حياتي وهو صامت لم يجب ،فدخلت حجرتي وأغلقت بابي وقلبي يخفق بعنف،ماهذا إنني أريده بشدة..لا لا يجب ألا أضعف أمامه سأقاوم رغبتي بشدة،عندها طرق الباب ففتحت فدخل وأغلق الباب وأنا مذهولة أحاول أن أتكلم فلا أقدر ، تقدم ناحيتي وقال هامسا:

- لا أستطيع مقاومة مشاعري أكثر من هذا

ضمني لصدره بقوة وغمرني بقبلاته ولم أقاومه بالعكس خانني جسدي واستجاب له بكل ذرة فيه.

إستيقظت في الصباح فوجدته قد غادر فراشي وتركني فريسة لتأنيب ضميري ، ورغم أني لم أكن ملتزمة دينيا ، إلا أني كنت أخاف عقاب الله، وظل ضميري يؤنبني بشدة أني فرطت في نفسي له في لحظة ضعف،خنت زوجي لأول مره في حياتي، حقا أنا لا أحبه ولكني أحترمه ، ماذا لو عرف هل سيغفر لي؟ انهمرت دموعي وأنا أشعر بالذنب يكاد يقتلني، ونهضت من فراشي بصعوبة أجر جسدي الملطخ بالخطيئة والذنوب، جسدي الذي لم يقاومه للحظة بل استمتع به ولوثني بالمعصية، وخان عهد الزواج ونسي أني أم، لقد حولتني نفسي الضعيفة لإمرأة أثمة حتى لو لم يعرف أحد لكني أعرف وأحتقر نفسي وبالتأكيد سيحتقرني عادل ويظنني رخيصة أسلم جسدي لأي رجل.دخلت الحمام لأغتسل ربما يستطيع الماء أن يمحو أثار الدنس عن جسدي ولكن من يمحوه عن روحي؟؟ قررت أن أسافر فورا ولا أذهب للعمل وسأرسل له رسالة إعتذار عن سفري المفاجيء ، لعله يدرك أن ماحدث كان مجرد خطأ وضعف بشري.

عدت لبيتي حطام إنسانة ، أشعر بالذنب تجاه كمال المخلص لي دوما ، الذي خنت ثقته في وفرطت في شرفه مقابل لحظات من المتعة الرخيصة.حمدت الله أن اليومين التاليين هما يومي الإجازة حتى أستطيع الهروب من عادل، فأنا لا أقوى على مواجهته بعدما حدث، لابد وأنه يظن بي أني رخيصة تبيع نفسها مقابل لحظات المتعة او أني ممن يبعن أنفسهنلرؤسائهم مقابل ترقية أو مكافأة، لابد أنه يحتقرني بشدة أوربما نسي ماحدث وعاد لحياته مع زوجته وأولاده وأني كنت في حياته مجرد رغبة ليس أكثر.أنا أيضا أحتاج أن أعود لحياتي وأرضى بزوجي وأهتم أكثر بابني لعلي أكفر عن ذنبي وسأطالب بنقلي لأحد فروع الشركة حتى أهرب منه ومن نفسي.

لاحظ زوجي تغيري وعندما سألني عن السبب أخبرته أنه إرهاق العمل والسفر،كنت أهرب من نظراته ومن الكلام معه فأنا أشعر بالذنب تجاهه وأخشى أن يفتضح أمري ، لكني في نفس الوقت كنت ألومه فهو من دفعني لأحضان عادل ببرودة مشاعره ولا مبالاته بي كزوجة، وعدم اهتمامه بي ولا بنفسه، وقلة حديثنا معا عن أحوالنا،هو أيضا يتحمل جزء من الذنب ، بينما أن أتحمل الجزء الأكبر بسبب ضعفي.

قدمت طلب النقل وتعجب الجميع من ذلك وطلبني عادل في مكتبه فادعيت المرض وغادرت المكتب مسرعة ، فاتصل بي من رقم مجهول وقال:

- أتهربين مني أم من قلبك؟؟

-ماحدث كان لحظة ضعف ولا يجب أن نتركها لتدمرنا فالحل الأفضل لنا هو البعد

-وإن كنا لانقدر على البعد؟؟ لقد كدت أجن عندما غادرتي فجأة، وكنت أنتظر عودتك يوم الأحد بفارغ الصبر لأقول لك الكثير لكني فوجئت بما فعلت

-أرجوك كفى فلنقف هنا ونتذكر أن لدينا أسرتين لا ذنب لهما في أننا ضعفنا للحظات

-مصرة أن تسميها لحظات ضعف بينما أنا اسميها لحظات البوح بالحب،إن كنتي نادمة عليها فأنا سعدت بها وسأظل أتذكرها عمري كله

لم أجد كلمات تساعدني على الرد فساد الصمت للحظات فقال:

-أتخافين من مواجهتي أم من مواجهة نفسك والاعتراف بأننا نحب بعضنا، حقا وجدنا الحب بعدما أضعنا أجمل سنوات عمرنا، لكن المهم أننا وجدنا فلنستمتع به، أرجوك لاتبتعدي ودعينا ننعم بحبنا ولو للحظات نسرقها من الزمن.

-هذا ليس حب إنها خطيئة ولن يغفرها الله لنا ولن تلطخ سمعتنا فقط بل سمعة كل من حولنا

-إذا هذا ما يبعدك عني ويخيفك..فلنجعل حبنا حلالا ولنتزوج

-ماذا؟؟ مستحيل

-بل المستحيل أن نظل هكذا ونحرم أنفسنا من الإستمتاع بالباقي من عمرنا أطلبي الطلاق وسأتزوجك بمجرد إنتهاء العدة

-والناس ماذا سيقولون عنا؟

-وماشأنهم بنا إنها حياتنا وحدنا،أنا أحبك وأنتي تحبينني فلنسعد بهذا الحب وليشقى كل الناس.سأقبل نقلك حتى لا يلاحظ أحد ما بيننا حتى يتم زواجنا.

لم يترك لي الفرصة لأقرر فاتخذ عني كل القرارات وكالعادة استسلمت له وبدأت أفتعل المشكلات مع كمال حتى مرضت أمي بشدة فذهبت للإقامة معها وأخذت معي أهم أشيائي وملابسي وبعد عدة أيام ماتت أمي فكانت صدمة شديدة لي حيث أنها كانت سندي منذ وفاة والدي وأنا في العاشرة ولم يكن لنا سوى بعضنا، كانت أمي وأختي وصديقتي وهي من شجعتني على الزواج بكمال لأنه طيب ومن أسرة محترمة وسيصونني.

بقيت عدة أيام أبكي بشدة وأقول لنفسي إنه إنتقام الله مني لما إرتكبت من إثم ،كرهت نفسي وكرهت عادل ولم أعد أجيب على اتصالاته حتى فوجئت به جاء ليعزيني وكنت بمفردي في البيت وبمجرد دخوله ضمني لصدره بحنان لم أعرفه من قبل وظل يمسح على شعري برقة حتى نسيت كل شيء ولم أعد أتذكر إلا أني أحبه.

بعد زيارة عادل قررت أن أطلب الطلاق من كمال-الذي ظن في البداية أني مازلت تحت تاثير صدمة وفاة والدتي- الذي وجدني مصرة على الطلاق وحاول أن يعرف السبب فأخبرته أنني لا أحبه وأمي هي من كانت تجبرني على العيش معه، إعتراه الذهول من قسوة كلماتي ووقاحتها فهددني بأنه سيحرمني من حضانة حمادة فلم أهتم لأني كنت أعلم أني لن أستطيع تحمل مسئولية تربيته فأمي هي من كانت تتولى كل شئونه، كما أن عادل لن يقبل بوجوده معنا، وكمال لن يتركه يعيش مع رجل أخر.

طلقني كمال بعد أن تنازلت عن كل مستحقاتي وبقيت وحدي في بيت أمي،كان عادل قد أتم إجراءات نقلي في وقت انشغالي بمرض أمي ووفاتها،خلال فترة العدة كان يلاحقني باتصلاته ليل نهارويسألني عن كل تفاصيل حياتي ويغمرني بفيض حبه وحنانه حتى نسيت الحزن لفراق أمي وبعد إنقضاء أشهر العدة تواعدنا للإتفاق على الزواج وبالفعل إلتقينا في مكان ساحر على النيل في الزمالك وقال لي إنه يرغب في الزواج بي اليوم قبل غدا لكنه لايستطيع الأن إشهار زواجنا لأن زوجته مريضة بالقلب ويخشى عليها إن عرفت أنها ربما تتدهور حالتها ولن يقدر هو على رعاية الأولاد لأنهم مرتبطين بها بشدة ، وطلب مني أن نتزوج دون معرفتها أو معرفة زملاء العمل حتى لايشي بنا أحد،رغم رفضي لذلك إلا أنه ظل يعدني أنه سيمهد لها الخبر حتى لاتُصدم ولكن ليس الأن وطلب مني أن أبرهن له على حبي وأقبل بذلك .قبلت وقررنا أن نعيش في شقة أمي حتى نجد الشقة المناسبة.أدخلت بعض التعديلات على أثاث الشقة وقمت بإعادة الطلاء وقام عادل بشراء حجرة نوم جديدة وجدد بعض الأثاث وقمت بإعادة ترتيبه وبعد شهرين تم الزواج وأصررت أن يعرف جيراني بتلك الزيجة صيانة لسمعتي. قضيت مع عادل لحظات سعادة لم أعرفها من قبل، حقا كانت لحظات نختطفها لكننا كنا ننعم بها، وكان عادل رجلا قادرا على إسعادي بكل مايقوله أو يفعله.

أخذت إجازة أسبوعين قضينا أسبوعا منهم في الغردقة والأخر كان يأتيني فيه كل يوم لعدة ساعات ويحدثني باقي اليوم وعندما حان موعد عودتي لعملي طلب مني أن أترك العمل وأتفرغ له فرفضت لأنه مشغول عني بعمله وأسرته فأخبرني أنه يغار علي بشدة ولا يقدر أن يحتمل أن أتعامل مع غيره أو أن أتكلم مع زملاء العمل، فهو يغار بشده لأنه يحبني بشدة،في غمرة الحب ونشوته وافقته وخاصة أن عملي خاص ولن يسمحوا لي بإجازة طويلة.ضحيت بكل شيء لأنعم بالحب مع عادل الذي لم يبخل علي بقلبه ولا بمشاعره إنما كان أحيانا يبخل بوقته وكنت ألتمس له العذر لكني كنت أتعذب بنيران الوحدة والغيرة تنهش قلبي.

بعد عدة أشهر بدأت زياراته لي تقل وكذلك محادثاته، وبدأ الملل والوحده يتسللان لحياتي،كما أن مشاعر عادل تجاهي بردت ولم تعد قوية كما كانت من قبل وكلما واجهته يقول لي:

-اكبري يا طفلتي الصغيرة فلسنا مراهقين إنما نحن ناضجين وأنا لدي مسئوليات كثيرة ومشاغل عديدة

صار يحرص على بقائنا بالمنزل وعدم الخروج حتى لايرانا أحد معارفه أو معارف زوجته ، كم كنت أرجوه أن نخرج حتى لو نسافر كل بمفرده لمكان بعيد ثم نلتقي هناك، لأني لا أخرج إلا معه كما طلب مني فكان قليلا ما يستجيب وهو يشعر بالضيق والقلق فكان ذلك يدفعني للعودة للمنزل.بدأ الشجار يعرف طريقه بيننا فأنا أعاني فراغ كبير في غيابه وعندما يتواجد معي لوقت قليل ينصرف مسرعا ويتركني للوحدة تنهشني.طلبت منه أن أعمل فرفض بشدة فلما أصررت وتشاجرت معه قال:

- ومن يضمن لي ألا تضعفي تجاه غيري كما ضعفتي معي؟؟

كانت كلماته بمثابة لطمة على جدران قلبي عصفت به،فلم أتخيل أن يعايرني يوما بحبي له،لم أتصور أنه يحبسني في البيت ليس لشدة غيرته بل لعدم ثقته بي ورغم إعتذاره عن تلك الكلمات ومحاولته تلطيف الجو بيننا إلا أن تلك الكلمة كانت كالسكين الذي أدمي قلبي وترك أثره فيه.أراد عادل إرضائي فوجد لي عمل من خلال الإنترنت في البيت ولكن من خلاله هو حتى لا أتعامل مع أحد لأنه كما يبدو فاقد الثقة بي.

مضت بنا الأيام والعلاقه بيننا تضعف والحب بدأ يتلاشى والشغف إنتهى حتى زياراته لي تباعدت، أدركت أن النهاية قريبة ولكني لا أدري متى، حتى جاءني يوما ووجهه يعتريه الحزن وقال لي أن ابنه الكبير عرف بزواجنا وواجهه بقوة وكاد يشتبك معه ، وشعر عادل أن الولد يكاد ينهار وخاصة وأنه على أبواب الثانوية العامة وبعد طول تفكيرقرر أن يضحي بحبه وسعادته من أجل مصلحة ابنه ومستقبله لأنه يخشى أن يفقد إحترامه له أو أن ينجرف الولد لطريق الإنحراف فلابد من إنفصالنا.لم أشعر بالصدمة لأني كنت أتوقع تلك اللحظه، لكني شعرت بغصة في قلبي لأني تركت كل شيء من أجله وفرطت في كل حقوقي ولما حان دوره في التضحية تخلى عني بكل سهولة فقد كنت أرخص ما في حياته.

تم الطلاق بهدوء ووجدت نفسي بلا عمل ولا زوج حتى ابني أضعته جريا وراء سعادة وهمية وها أنذا أدفع ثمن تهوري وضعف نفسي.بدأت أبحث عن عمل واضطررت لقبول عمل براتب أقل مما كنت أحصل عليه لأني أضعت عدة سنوات في الجري وراء سعادة وهمية وضحيت من أجلها بكل غالٍ، لكنها لم تكن سوى سراب خادع.

في عملي الجديد وجدت زميلة لي كانت تعمل تحت قيادة عادل وكانت مبهورة به ثم تركت العمل معه وجاءت لتعمل في شركتنا لأنها أقرب لبيتها وستوفر عليها مشقة المواصلات، وبعد كلمات الترحيب بدأت بيننا زمالة عمل بحكم تواجدنا في مكتب واحد فأخبرتني أنها تعيش قصة حب خرافية مع شخص رائع لم تر مثله في رقته ولا حنانه لكنها لن تخبرني بإسمه لأنه سرها وحدها،لم أهتم بما قالت لأني لم أعد أؤمن بالحب فكم عانيت بسببه، وفقدت أغلى مافي حياتي حمادة ابني بسبب أوهام الحب والسعادة .

ذات يوم بينما كنا نغادر المصعد بعد إنتهاء عملنا قالت لي إنه ينتظرها أمام مقر العمل وطلبت مني أن أراه لتعرف رأيي فيه، وفوجئت أنه عادل ، تمالكت نفسي للحظات وتقدمت نحوه والدهشة مرسومة على ملامحه ثم قلت بمكر:

- مبروك الفريسة الجديدة يا عادل بك، حقا أنت صياد ماهر لاتضيع وقتك، هل تركتني من أجلها؟؟وياترى ستتركها من أجل من؟؟ ألم تكتفِ من لعب دور المراهق وابنك على أبواب الجامعة؟؟ ألا تخشى أن أشي بك أمام الأسرة الكريمة؟؟

تركتهما غارقين في ذهولهما وصراخها يلاحقني وهي تسأله عما بيننا وعن معنى كلماتي

دخلت بيتي وأم كلثوم تشدو(تفيد بإيه يا ندم وتعمل إيه يا عتاب طالت ليالي الشجن واتفرقوا الأحباب) فعلا بم يفيد معي الندم وقد صرت حطام إمرأة؟ ملكت كل شيء من عمل جيد وزوج محب مخلص وبيت هادئ مستقر وطفل يملأ حياتها وتركت كل هذا من أجل لحظات حب خادعة لم تدم طويلا.أنا أستحق ما أنا فيه من وحدة وألم وندم وهذا عقاب الله لي على تفريطي فيما أملك والجري وراء رغباتي و ماهو ملك لغيري.

تمت

ثورة الشك

أم كلثوم تشدو بصوت شجي وتقول(أكاد أشك في نفسي لأني أكاد أشك فيك وأنت مني..يقول الناس إنك خنت عهدي ولم تحفظ هوايا ولم تصُني) انهارت أمل باكية فقد فتح صوت الست جراح قلبها ، لقد بدأت منذ فترة تشك في تصرفات أحمد خطيبها، فبعد أن كان ملهوفا عليها ،ويغمرها بكلمات الحب والغرام، صار جافا ،وصامتا دائما، يجلس بجوارها وكأن بينهم مسافات، لم يعد يتعجل موعد الزفاف ويحدثها عن أحلامه بالعش السعيد وقصة الحب الدائم التي سيعيشونها معا. حاولت أكثر من مرة أن تعرف ما به ولكنه كان يتهرب من الإجابة، كان يهرب من عينيها ولا يستطيع أن ينظر فيهما طويلا، بعد أن كان لايرفع عيناه عنها ويقول شعرا في جمالهما. عرفت من أخته –صديقتها وجارتها- أن حبيبته القديمة عادت إليه وترجوه أن يعود إليها وأنها ندمت على تركه من أجل العريس الجاهز القادم من بلاد الخليج محملا بالمال ، وهو حائر بين حبه القديم وحبه لأمل، لكنه يميل لحبه القديم فقد عادت بشوق ولهفة فأشعلت النيران في قلبه لكنه يشعر بالحيرة لإلتزامه مع أمل ولأنه يعلم أنها تعشقه.

أفاقت على صوت كوكب الشرق تشدو حائرة (تُعذَّبُ في لهيبِ الشكِّ روحي وتَشقى بالظنونِ وبالتمنّي..أجبني إذ سألتُك هل صحيحٌ حديثُ الناسِ خُنتَ ألمْ تَخنّي؟) فازداد بكاؤها . أفاقت بعد لحظات وفكرت لم لا تواجهه؟؟ ولكن ماذا لو استغل الفرصة ليقول لها أنه يختار حبه الأول؟؟ عندها ستنهار ،فهي لاتحتمل مجرد التفكير في بعده، وربما يختارها، لكن ماذا لو تركهما معا؟؟

لا لا لن تواجهه، لن تترك له الفرصة ليختار الأخرى ستتمسك به، لكن هل تتزوج برجل قلبه مع غيرها؟؟ الحيرة تمزقها والأفكار تؤرقها .قررت أن تستمر معه بل وتستميله إليها حتى ينسى الأخرى التي سرعان ما ستتركه إن وجدت من هو أغنى منه فهي مادية تركته أول مرة من أجل المال. غمرته أمل بحبها واهتمامها ولم تترك له لحظة واحدة ليفكر في الأخرى التي يأست منه وتزوجت من رجل أعمال كبير في السن يتخذها كزوجة ثانية ليستعيد معها شبابه فاشترى لها شقة فاخرة وسيارة فنسيتأحمد وحبها له مرة أخرى.عاد إلي أحمد كسيرا ولم يخبرني بسبب انكساره، لكنه كان يحاول أن يعوضني عن تردده فسعدت بذلك كثيرا وأسرعت بإتمام الزواج وأنا أظن أني ملكته للأبد.

يبدو أني كنت واهمة لقد عشنا عامين في منتهى السعادة ولكن بمجرد إنجابي للتوأمين منه وساره وانشغالي بهما عن أحمد بدأ هو الأخر يبحث عمن تشغل وقته وتملأ فراغه العاطفي. عرفت ذلك عن طريق المصادفة عندما أخبرتني إحدى قريباتي أنها رأته في سيارته مع فتاة شقراء فكذبتها وقلت

لابد أنها خلطت بينه وبين شخص أخر، لكن الشك لم يتركني وراقبته فوجدته منشغلا بالمحادثات على الواتس أب كثيرا ولأول مرة في حياتنا الزوجية قام بعمل كلمة مرور لهاتفه حتى لا أفتحه في غيابه. الشك يكاد يقتلني ولكني مرة أخرى أخشى مواجهته حتى لا يتركني أنا وابنتي من أجل أخرى ولا أستطيع الصمت على تلك الخيانة، حائرة ماذا أفعل؟

و مازالت الست أم كلثوم تشدو (أكاد أشك في نفسي لأني أكاد أشك فيك وأنت مني) وأنا مازلت أبكي حب عمري الذي أحببته بكل جوارحي وهو اكتفى بأن يستمتع بذلك الحب والعطاء فقط لكنه لم يحبني يوما..

تمت

عودت عيني

تشدو الست أم كلثوم وتقول (عودت عيني على رؤياك وقلبي سلم لك أمره) وندا مازالت تقف في شباك شرفتها تنتظر عودته من عمله فهي لاتستطيع النوم حتى تراه عائدا ويضيء نور غرفته المقابلة لشرفتها،إنه ماجد جارهم المهندس الذي يكبرها بنحو 10 سنوات وتحبه لا تعلم منذ متى ولكنها تعلم أنه مجنونة به. هاهو يطل بجسده الرياضي المتناسق وخطواته الواثقة وبمجرد أن رأته غنت بصوت هامس مع الست(وإن مر يوم من غير رؤياك ما ينحسبش من عمري). لم يرها يوما ولم يرفع عينه ولو لمرة واحدة إلى شرفتها وحتى عندماكانت تذهب لبيتهم ليشرح لها مالا تفهمه في الرياضيات كان لاينظر في عينيها ويعاملها على أنها طفلة ولا يعلم أنها أنثى يفيض قلبها عشقا.حاولت أكثر من مره لفت إنتباهه بلا فائدة، كم تمنت لو رآها بقلبه ،لو شعر بما في قلبها من حب،كم تمنت لو يبادلها حبا بحب. انتبهت من أفكارها على صوت دقات الساعة 12 وقد أغلق نور غرفته فقالت هامسة (تصبح على خير يا حبيبي) وجافاها النوم وظلت الأفكار تتلاعب بعقلها ولم يتركها حتى في أحلامها. انتهت من عامها الدراسي الثاني في الجامعة بنجاح واستغلت تلك الفرصة وذهبت لبيتهم- وهي تعلم بوجوده –حاملة معها الشيكولاتة فرحبت بها أمه كثيرا فقالت ندا وعيناها تبحث عنه:- أنا نجحت يا طنط بتقدير جيد جدا وجايبالكم حلاوة النجاح

-ألف مبروك يا حبيبتي عقبال شربات الفرح

فخرج ماجد مبتسما وقال:- فرح إيه يا ماما دي لسه صغيرة قوليلها عقبال التخرج والشغل الأول

فقلت وأنا أنظر في عينيه العسليتين الساحرتين:- صح معاك حق مستقبلي أهم من أي حاجه

-المهم تحافظي على تقديرك

-حاضر اتفضل الشيكولاتة

فقالت أمه:- أومال ماما فين خليها تيجي تشرب القهوة معايا

-حاضر يا طنط هاروح أندهلها

-خليكي وأنا أطلبها

-معلش يا طنط عندي حاجات هاعملها

وأسرعت في النزول لألحق بماجد الذي سبقني ونزل كنت أتأمله وأتمنى أن يلتفت ليرى نظرات الشوق ولكنه كان مشغولا بمكالمة هاتفية فلم يرني.كانت تلك اللحظات القليلة التي أختطف فيها بعض الكلمات وأحظى فيهاباهتمامه عندي أغلى من كل الدنيا.عند بدء العام الدراسي الجديد اتصلت أمه بأمي لتدعونا لحفل

زواج ماجد بإحدى زميلات الدراسة ، نزل الخبر علي كالصاعقة لقد انتهى كل أمل لي في الحياة،فلن أحظى منذ اليوم برؤيته ولا بلحظات أسرقها من عمر الزمن لأسعد فيها بكلماته. بقيت أيام حزينة باكية دائما وأمي تشك في أمري ولكنها لا تتكلم حتى جاء موعد الفرح وكنت أشبه بالمومياء جسد بلا روح،فقلت لأمي:-أنا حاسه إني تعبانه ومش قادرة أروح الفرح

-بلاش عبط قومي اغسلي وشك والبسي أجمل ما عندك وحطي ماكياج ماتخليش الناس تفهم إنك كنتي متعشمه فيه ولما اتجوز غيرك انهرتي،خليكي قوية لا هو أول الرجالة ولا أخرهم بكرة تلاقي اللي أحسن منه ويسعدك.

نظرت لأمي ببلاهة وأنا أراها تتعامل مع الموقف بمنتهى القوة فقلت لنفسي حقا يجب أن أكون قوية وأخفي ألام قلبي عن الجميع.تزينت وذهبت مع أمي للفرح وليتني ما ذهبت كان ماجد شديد الوسامة ببدلة الفرح وعيناه تفيضان حبا وهياما وسعادة، أما العروس فكانت جميلة ورقيقه وتبادله حبا بحب ، كانت نظراتهما تدل على أنهما يحلقان معا بعيدا ولا يشعران بمن حولهما إنما يشعران فقط بكلام العيون ودقات القلوب، لغة لايفهمها إلا العاشقين. برغم ألامي وحزني إلا أني سعدت لسعادته فتلك المرة الأولى التي أراه فيها سعيدا هكذا، فليهنأ بحبه وليعينني الله على احتمال جروح قلبي النازف.

أكملت حياتي ونجاحي في دراستي وأنا جسد بلا قلب قادر على الحب، وكنت كلما اشتقت إليه زرت والدته لعلي أتلمس موضع قدمه أو مكان جلوسه أو موضع يده، وكنت أقبل خدها لألتقي بشفتيه التي سبقتني وقبلت خدها، كانت تحكي لي أخبارة وعرفت منها أنه أحب زميلته في الدراسة ولكن أهلها الأثرياء رفضوا زواجهما لأنه أقل منهم ماديا فعمل واجتهد ليجمع المال اللازم للزواج وتقدم لها مرة أخرى فرفضوا فأصرت هي على الزواج منه رغما عن أهلها. الحب وما يفعله بالقلوب والعقول لايمكن تصوره، دعوت لهما من قلبي بالسعادة،فيكفيني أن يكون سعيدا لأشعر بالرضا.تخرجت من الجامعة بتقدير جيد جدا وكم كنت أتمنى أن يكون موجودا لأطير إليه فرحة وأخبره أنني حققت ما أراده لي، لكنه غائب عني ولم يعد ما يفرحني يفرحه ،بل لعله نسيني ، وما طعم الفرحة بدونه.

بحثت كثيرا عن عمل بلا فائدة فأصحاب الأعمال إما يريدون حديث التخرج ومعه خبرة ولا أعلم كيف يحدث هذا، أو خريج مدارس لغات وجامعات أجنبية ولا أعرف ما حاجة هؤلاء لتلك الوظائف البسيطة بذلك الراتب الهزيل؟؟ إنها معادلة صعبة وعلى خريجي المدارس الحكومية والعربية الخروج من سوق العمل حتى إشعار أخر.فكرت أن أخذ بعض الكورسات في اللغة الإنجليزية والكمبيوتر فوجدتها مكلفة جدا ،فبحثت عن عمل بعيدا عن تخصصي أي عمل يشغل وقتي فلم أجد سوى مدرسة حضانة أو كول سنتر،فاخترت كول سنتر وقبل بدء العمل بيوم واحد علمت أن ماجد عاد بابنته التي لم تكمل عاما واحدا ليعيش مع أمه بعد أن أجبره أهل زوجته على طلاقها وأخذوها معهم خارج مصر.علمت من أمه أنه عاد حطام إنسان وأنها حائرة في التعامل مع الطفلة الصغيرة فذهبت إليها لمساعدتها .حاولت أمي منعي كثيرا وقالت لي:

- بطلي تندلقي عليه عمره ما هيحس بيكي كده

لكني لم أبال وجريت مسرعة لأمه وتخليت عن فكرة العمل وكنت أقضي نهاري في العناية برنا ابنة ماجد واللعب معها حتى أنها أحبتني وارتبطت بي كثيرا وأنا تعلقت بها ومنحتها جزء من قلبي لأنها قطعة من ماجد. كنت أتعمد يوميا أن أنصرف عند عودته من عمله فكم رأيته حزينا هزيلا زائغ النظرات كسير القلب ،كم تمنيت لو أستطيع أن أضمه لقلبي وأنزع ألامه من صدرة وأضعها بصدري فأنا قادرة على أن اتألم بدلا منه، في البداية لم يكن يراني ولكن بعد فترة بدأ يدرك وجودي وذات مرة شكرني على رعايتي لرنا، كانت تلك الكلمات كفيلة بأن ترد لي روحي.حتى جاء يوم ومنعتني أمي من الذهاب لبيتهم وقالت:

- الناس أكلوا وشنا، اللي تقولي هي بنتك عشمانه فيه واللي تقولي هي بنتك اشتغلت داده واللي تقولي هو وامه مستغلين عبط بنتك

-يا ماما سيبك من الناس وكلامهم في كل الأحوال هيتكلموا

-إحنا عايشين في وسط الناس وكلامهم هيأثر على سمعتك ومحدش هيفكر يتجوزك

-مين قالك إني عايزة أتجوز؟؟

-لا عايزة تشتغلي ولا تتجوزي وقاعدة تحت رجليه مستنية إشارة منه إنتي إيه معندكيش دم؟؟أخر كلام عندي ما فيش مرواح عندهم تاني فاهمه يبقوا يجيبوا داده للبنت تراعيها ولا يودوها حضانه مالناش دعوة.

اتصلت أمه بأمي تسأل عن سبب غيابي في البداية قالت أمي أنني مريضة ثم قالت لها الحقيقه بعد ذلك أن الجيران تناولوا سيرتي بالسوء فاعتذرت أمه عما سببته لنا من ضرر. شعرت بشوق شديد لماجد ورنا فقد تعلقت بالطفلة تماما أما ماجد فنظراته- حتى وإن كانت حزينة- هي من تبعث في الحياة،فكيف أحيا بدونهما؟ مرت الأيام علي ثقيلة وكئيبة ووجدت نفسي أغني (وان مر يوم من غير لقياك ما ينحسبش من عمر) فأيامي بدونة لا طعم ولا معنى لها، حتى جاءت أمه لزيارتنا ومعها رنا ،بمجرد أن رأتني جرت على بخطواتها المتعثرة فحملتها وغمرتها بقبلاتي وضممتها إلى قلبي لعلي أعوض ما فاتني من مشاعر ولعلي أجد روح ماجد فيها. جلست أمه مع أمي يتحدثان وجلست ألعب مع رنا وأطعمها بيدي وأدغدغها وتضحك حتى نادتني أمي وقالت:

- طنط سميحه عندها كلام عايزاكي تسمعيه

فقالت طنط سميحة:-زي ماجد ماهو ابني وغالي عليه فربنا يعلم إن ندا بنتي اللي كنت أتمنى أخلفها وطبعا إنتم عارفين ظروف ماجد وأنا فكرت إن أفضل حل للخروج من حزنه هو الجواز وطبعا مش هالاقي زي ندا عروسة لإبني لأنها بنتي ومربياها وعارفين بعض كمان حبها لرنا هيخليني أكون مطمنة عليها معاها أنا كلمت ماجد ووافق على إختياري وجاية أعرض عليكي يا ندا الجواز من ماجد، مش عايزة أعرف رأيكم دلوقتي خدوا وقتكم وردوا عليه ومهما كان ردكم هنفضل أهل وأصحاب وهتفضل ندا بنتي، بس فيه حاجه تانية ماجد مش هيقدر يعيش في شقته فهيعيش معايا مؤقتا لحد ما يبيع الشقه بعفشها ويجيب واحده جديدة واللي عايزة تغيريه في شقتي غيريه لحد ماتروحوا شقتكم، فكروا ومستنية ردكم.

لا أستطيع أن أصف مدى السعادة التي كنت أشعر بها،أخيرا حقق القدر رغبتي وسأصبح زوجته،سأنسيه بحبي وحناني كل حب قبلي،سأجعله يشعر أنه لم يذق طعم الحب من قبل، ماجد حلم العمر أخيرا سأصبح زوجتك.أفقت على رفض أمي القاطع لتلك الزيجة فصرخت وقلت:

- ليه؟؟ أنتي عارفه إن دي اللحظة اللي كنت عايشه عشانها هتحرميني منها ليه؟؟حرام عليكي

-ما إنتي كنتي قدامه سابك واتجوز غيرك، ده عايزك دادة لبنته وبس بيدور على مصلحته

-لأ يا ماما أرجوكي ماتقفيش في طريق سعادتي أنا عارفه إنه دلوقتي مش بيحبني لكن أنا مع الوقت هاخليه ينساها ويحبني

-بلاش أوهام فكري بعقلك ده حتى أمه اللي اختارتك مش هو، كمان إيه اللي يجبرك تتجوزي مطلق ومعاه بنت وتعيشي في بيت أمه يعني لاشقه ولا عفش ولا أي حاجه تتمتعي بيها زي باقي البنات؟؟

-الحب هو اللي يجبرني أنا مش عايزة من الدنيا حاجه غير ماجد

-وأنا مش موافقه على الجوازه دي هتتجوزيه غصب عني؟؟

-لأ بس مش هاتجوز غيره

دخلت غرفتي وأغلقتها وبكيت فحتى عندما يتحقق الحلم تقف الحواجز بيننا، وكأن القدر يرفض أن يمنحني السعادة. بقيت في غرفتي لا أحدث مع أمي وامتنعت عن الطعام نهائيا وفي اليوم التالي جاءت أختي التي تعيش في الإسكندرية وتحدثت معي كثيرا وحاولت أن تقنعني ولما يأست مني قالت لي:

-إفهمي الجواز والواقع حاجه وقصص الحب اللي بتقريها وبتشوفيها في أفلام دي حاجه تانيه ده مش بيحبك ولا حاسس بيكي هتفضلي عمرك كله تحبيه وتضحي عشانه ولا هو حاسس ولا مقدر بالعكس هيطلب أكتر ويعتبره حقه هتفضلي تدي من غير ما تاخدي هاييجي عليكي وقت تندمي وتبقي محتاجة حد يديكي مشاعر مش هتلاقي لأنه اتعود ياخد وبس

-أنا راضيه بس خلي ماما توافق

-إنتي حرة ده اختيارك واستحملي نتيجته بس ما تقوليش محدش نصحني أنا وماما خايفين عليكي

-بصي يا أمل لو ما أتجوزتش ماجد مش هاتجوز غيره وهابقى ميتة فعلا من غيره..فاهماني؟؟

-فاهماكي يا حبيبتي

ضمتني لصدرها وقالت:- يارب بس يكون يستحق كل الحب ده

وافقت أمي على مضض وأخبرت طنط سميحة التي جاءت مع ماجد لبيتنا في حضور أختي وزوجها وقام ماجد بالإتفاق معهما على كل الأمور المالية ولم يرفض أي طلب لهما وبعد أن اتفقوا جميعا قام بتلبيسي الدبلة وقلبي يرقص طربا ويدي ترتجف بين يديه فرحا، وحددنا موعد الزواج بعد شهرين، أطلقت أمي

وأختي الزغاريد حتى يعلم الجميع بخبر خطبتنا وقامتا بتوزيع الشربات والشيكولاتة وكانت رنا تجلس في حضني تداعبني وتضحك فقلت لماجد وأنا أتطلع إلى عينيه بمنتهى الشوق:- ماجد أوعدك إنحياتنا مع بعض هتكون سبب سعادتك

فنظر إلي بعينيه الحزينتين وقال:- وأنا أوعدك إني هابذل كل جهدي عشان تكوني مبسوطة أنا عارف إنك قبلتي الجوازة دي عشان بتحبي ماما ورنا ولأن ليه مكانه عندك وعارف إن فيه فروق بيننا كتير لكن عارف إنك تستحقي كل الخير وأوعدك إني هاعاملك بما يرضي الله

-على فكرة فيه حاجات كتير إنت مش عارفها

-زي إيه؟؟كان فيه حد في حياتك؟؟

-أبدا بس فيه حاجات مش هاقدر أقولها دلوقتي هتعرفها لما نتجوز

نظر إلي كأنه يراني لأول مرةفاقتربت من رنا وقبلتها وأنا أنظر في عينيه، كم تمنيت أنا أبوح له بحبي ومشاعري ولكني قررت أن أدخر كل تلك المشاعر ليوم زفافنا لأجعله يوما لا ينساه أبدا. بدأنا الإستعداد للزواج وكنا اتفقنا على الإكتفاء بشراء غرفة نوم جديدة وأنترية فقط مع إعادة طلاء شقة والدته وإصلاح التالف فيها.كانت والدته تأخذ رأيي في اختيار الألوان وفي تغيير أماكن قطع الأثاث حتى تشعرني بأهميتي أما هو فكان الحاضر الغائب ترك لنا مهمة التغيير واكتفى بتسديد النفقات وعند اختيار غرفة النوم أصررت على أن يأتي معنا وقلت له:

- دي المكان اللي هيجمعنا لازم إحنا اللي نختارة ونحس بالراحه فيه

وافق على مضض وسرعان ما اتفقنا على اختيار مشترك. تم الإنتهاء من الشقة وجاءت المشكلة مع الفرح فأمي تصر على حفلة كبيرة وأنا وماجد نصر على عقد القران بقاعة مسجد ثم نسافر بعدها ، وأخيرا بعد تدخل أختي إستطعنا إقناع أمي لكنها تمسكت بفستان الفرح فاستأجرت أحد الفساتين ليقوم بالمهمة. تم عقد القران بعد صلاة العصر وسافرنا بعده إلى شرم الشيخ بالطائرة ،كنت أشعر بأني أحلق في السماء بعيدا وأنا أجلس بجواره كزوجته ويدي ممسكة بيده، كنت أغني بيني وبين نفسي وأقول (و يوم ما تسعدني بقربـــك ألاقـــي كـل النـــاس أحبـــــابويفيض علـى نـار حبـــك أقول ما فيشى في الحب عـذاب
الحب كل نعيم لا فيه عـزول بيلـوم ولا فيه حبيب محـــروميا ريت يدوم للقلب صفـــاك وأقضـي طـول العمـر معـــــاك)

لم أكن أصدق أن الحلم أخيرا سيتحقق ،لك الحمد يارب على كل تلك السعاده سأشكرك العمر كله على تحقيق حلمي في الحلال. وصلنا إلى الفندق وسعادتي الطاغية جعلتني لا أرى لمحات الحزن في عيون ماجد وملامحه المتجهمه، دخلنا غرفتنا وأنا رغم كل تلك السعادة أشعر باضطراب رهيب فلم تكن لي علاقات بأي رجل من قبل ولأول مرة سأكون بمفردي مع رجل ولا أعرف ماذا علي أن أقول أو أفعل.

جلست على طرف السرير- حيث كان بالغرفة سريرين – وأنا أشعر بخجل شديد، وساد الصمت بيننا لعدة دقائق حتى قال ماجد:

- أنا مش عايز أخدعك يا ندا وعايز أتكلم معاكي بصراحة ،أنا باقدرك جدا وباعزك فعلا لكن أنا ما حبيتش في حياتي كلها غير يارا ورغم الظروف اللي فرقت بيننا ماقدرتش أنسى حبها ، بس زي ما وعدتك هاتقي ربنا فيك وهابذل كل جهدي عشان أسعدك ، لكن أعذريني النهاردة أنا مش قادر لسه أتخيل إني هاكون مع حد غيرها ، بكره لما أتعود عليكي الحواجز اللي بيننا هتتكسر لوحدها، أنا عارف إن كلامي بايخ وتقيل لكن أنا ما أقدرش أخدعك وحبيت أكون صريح معاكي من أول لحظة.

نزل كلامه على قلبي كالصاعقة فزلزلته وعصف بروحي فهوت من السماء السابعة لأعماق الأرض، كنت أعلم أنه لايحبني لكنه لم يكن يحتاج كل تلك القسوة ليخبرني بذلك، لم يكن من الضروري أن يدمي قلبي بصراحته البغيضة، وددت لو أستطيع الفرار من أمامه والعودة بالزمن لأرفض تلك الزيجة ولكن قلبي سرعان ما التمس له الأعذار وخلق له العديد من المبررات كعادته ودفعني لأقول:

- أنا مقدرة مشاعرك يا ماجد ومش هاطالبك بحاجه إنت مش حابيها وخلينا نقضي الأجازة دي زي أي أصدقاء بيقربوا من بعض عشان يعرفوا بعض أكتر بس اسمحلي أطلب منك حاجه ماتقوليش كلام كدب أو تعبر عن مشاعر مش موجوده لمجرد الشفقة أو لأنك بتؤدي دور مفروض عليك، أنا اتجوزتك وعارفه كل ظروفك وراضية بيها مش طالبه منك أكتر من الصدق في كل حاجه في حياتنا وكلامنا ومشاعرنا.

-أوعدك إني هاكون صادق في كل حاجه

-ممكن بقى تدخل تغير هدومك عشان أغير أنا كمان؟؟

ابتسم وقال :- حاضر

دخل الحمام وغلبتني دموعي وأنا أضع ملابس العرس في الدولاب ،كنت أظن أنني سأفاجأه بمشاعري المتدفقة وبحبي غير المحدود ففاجأني هو بتوقف مشاعر عند يارا فقط وكأني لاوجود لي أنا كما قالت أختي وأمي مجرد مربية لابنته، لا لن أستسلم سأجعله يوما ما يحبني وينساها فهل جزاء الحب إلا الحب؟؟

خرج من الحمام ودخلت أبدلت ملابسي وارتديت قميص الفرح الذي أعددته وفوقه روب لم أخلعه ونمت به كل منا على سرير.نام ولم يشعر بدموعي المنهمرة ولا بروحي الكسيرة وجرح قلبي النازف. كم هي قاسية قلوبالمحبين الذين ذاقوا مرارة الفقد والبعد فلا يرفقون بغيرهم من العاشقين بل يستمتعون أحيانا بأن يذيقوهم من نفس كأس العذاب واللوعة.

بكيت حتى سمعت أذان الفجر فقمت أصلي وأدعو الله أن يمن علي بالصبر ،خرجت للشرفة لأشاهد شروق الشمس وهي تتحدى جحافل الظلام والجبال الحجرية القاسية وتملأ الكون بنورها وتبدد برودة الليل بحرارتها فأدركت أنها رسالة لي من الله لأكون الشمس التي تشرق في حياته فأبدد جحافل الألام والأحزان وأملأ حياته نورا وحرارة وأبدد ظلمات قلبه. دخلت الغرفة وجلست على سريري أتأمل ملامحه وهو نائم ، حقا كم أحبه رغم قسوته وكم كنت أتمنى أن أبوح له بحبي في تلك الليلة، ولكن إن لم أستطع البوح له بالكلمات فسأحول كلماتي ومشاعري لأفعال سأملأ حياته حبا وإخلاصا وتفانيا. استيقظ فوجدني جالسة على سريري أنظر إليه فإنتبه وقال وهو يفرك عينيه:- مالك فيه حاجه؟؟

ابتسمت وقلت:- لأ بس جعانه ومستنياك تصحى عشان نفطر

فإبتسم وقال:- مافيش فايدة بتكبري بجسمك لكن كلامك وتصرفاتك عيلة صغيرة ، خمس دقايق أغسل وشي وألبس ونروح نفطر.

ذهبنا للبوفيه وتناولنا إفطارنا وأراد أن يجلس لتناول قهوته فجذبته من يدة وقلت مازحة:- تعالى هاجيبلك قهوة تحفه

ذهبنا للكافيتيريا المطلة على الشاطئ حيث كان منظر البحر مع الجبال قمة في الروعة فقلت له:- إشرب قهوتك وشايك براحتك وأنا هاقف قصادك ألعب في الميه

إبتسم وقال:- يابنتي بطلي شغل العيال المفروض إننا عرايس في شهر العسل مش مدرس جايب تلميذته في رحلة

إبتسمت ونظرت في عينيه وقلت:- المفروض

تركته ومشيت تجاه البحر وغاصت قدماي في الرمل ثم غمرتها مياه البحر الهادئة شعرت بسعادة كطفلة ورحت أعبث في المياه والرمال بقدمي ثم مرت فوق قدمي سمكة صغيرة فقفزت وصرخت وضحكت ونظرت إليه فوجدته سارح في عالم أخر ، نسيني ونسي وجودي وغرق في بحر ذكرياته،فتركت البحر وعدت إليه مبتسمه وقلت:- هتجيبلي إيه بقى أشربه؟؟

قال ضاحكا:- أخرك مصاصة أو كوباية لبن

فضحكت وقلت:- أوك يبقى أيس كريم

تحدثت معه في موضوعات كثيرة حتى جاء أحد العاملين بالقرية وأبلغنا أن القرية ستقيم لنا حفل زفاف في التاسعة مساءا في النايت كلوب ، حاول ماجد الرفض لكن لم يستطع لأنهم وضعوا إعلانا بذلك لكل النزلاء. فطلبت منه حتى يحين موعد الحفل أن نذهب للغواصة لمشاهدة الأسماك الملونة والشعب المرجانية فوافق فقضينا وقتا ممتعا جدا على ظهر الغواصة وحينما نزلنا لأسفلها لمشاهدة عالم خفي وعجيب تعيش فيه مخلوقات مختلفة. عندما عدنا ذهبنا لتناول الغداء ثم عدنا لغرفتنا ونمنا قليلا ثم استيقظت عند الغروب وخرجت للشرفة لأشاهد غروب الشمس وتلون السماء باللون البرتقالي.بقيت أتأمل المشهد وأنا سارحة في أفكاري حتى انتفض جسدي عندما ناداني ماجد وقال:- سرحانه في إيه بقالي مده بانادي عليكي

-أبدا أصلي باحب مشهد الغروب أوي بيأثر فيه جدا وباخاف منه في نفس الوقت باحسه نهاية النهار بنوره وطغيان الليل وضلمته

-إيه ده انتي كمان شاعرة؟؟ مش باين عليكي تعرفي أنا كنت متعود أشوف الغروب لما...

وقطع كلماته مرتبكا ثم قال:- لما كنت في سنك يالا إجهزي عشان نتعشى

أدركت أنه يقصد أنه كان يشاهده معها فتألمت ولم أظهر ذلك على ملامحي وتناولنا العشاء وعدنا لغرفتنا إستعدادا للحفل فشعرت بحيرة كيف سأرتدي ملابسي في وجوده فقلت له:

-إلبس إنت الأول وإطلع إستناني برة على ما ألبس

فوافق وبالفعل إرتدى ملابسه وخرج وارتديت فستانا أزرق مطرز برقة ووضعت القليل من الماكياج وارتديت حذاء بكعب عالي ووضعت طرحة مناسبة للفستان فأظهرا بياض بشرتي ولون عيني. خرجت له فأطلق صافرة إعجاب وقال لي:- هو إنتي تعرفي مراتي؟؟ هي شبهك بس هي عيلة صغيرة بتلبس جينز وتيشيرت وكوتشي.

-لأ ما أعرفهاش بس ممكن أنده لها وأقول لها إنك بتعاكسني

- بس أسكتي وتعالي نزوغ منها قبل ما تقفشنا

مد ذراعه لي فتأبطت ذراعه وقلبي يقفز من بين ضلوعي من السعادة فتلك أول مره يلمسني فيها ويدي تلمس يده وأشعر بدقات قلبه هادئة رزينة مثله بعكس دقات قلبي التي تقفز بقوة كطفل صاخب.عندما اقتربنا من النايت كلوب فوجئنا بفرقة مزمار بلدي تحيط بنا وتطلق أغاني الأفراح المعتادة وتجمع حولنا كل النزلاء والعاملين وبدأت الزفة ورقص بعض النزلاء من المصريين والأجانب حتى دخلنا القاعة فأحضروا لنا تورتة كبيرة وكان على ماجد أن يمسك بيدي لتقطيعها فشعرت بخفقات قلبي وبرودة يده وأطعمني وأطعمته وجاء دور القطعة المشتركة بيننا ولأعفيه من الحرج سبقته وخطفتها وسط ضحكات المحيطين وضحكات ماجد الذي همس وقال:- الفستان مش قادر يغطي العيلة اللي جواكي

فضحكت وظن الجميع أنه يهمس لي بكلمات الحب. بدأت فقرات الحفل بفرقة نوبية تقدم الأغاني والرقصات النوبية وفي النهاية قدموا أغنية خصيصا لنا وجذبونا لنرقص معهم فرفض ماجد أن يرقص بينما أمسكت بيد الفتيات ورقصت معهن بكل حيوية وإنطلاق.

وقفت بعيدا أتأملها ندا تلك الطفلة الصاخبة التي أجبرتني الظروف على أن أتزوجها وأنا لم أتخيلها يوما سوى أخت صغيرة لي، لكن ما باليد حيلة فحبيبتي وزوجتي وكل حياتي أجبرها أهلها على الطلاق بعد أن هددوها بقتلي وقتل ابنتنا فقررت أن تضحي بحبها لنحيا نحن وتركتنا وحيدين تائهين في الدنيا بدونها، لو كان بيدي لما تزوجت غيرها ولافكرت في أية إمرأة أخرى ولكن ابنتي تحتاج لمن يرعاها وأمي مريضة ولا تقدر على ذلك فكان لابد أن أتزوج بإمرأة تحب ابنتي وتحسن معاملتها، وقد لمست ذلك في معاملة ندا لها فكان قراري بالزواج ولكني حتى الأن لا أفهم سر موافقتها على ذلك الزواج الذي ليس فيه أي جانب من جوانب السعادة لها.لم وافقت أن تربط حياتها بإنسان مازال متعلقا بحب قديم وطفلة ليست ابنتها؟؟ بينما وقفت أتأملها وهي غارقة في الرقص والضحك كأي طفلة صغيرة تلهو ، سمعت إثنان من الأجانب يمدحان جمالها الشرقي ورقصها المثير فنظرت إليها ولم يكن أي شئ فيها يثيرني فشعرت بالغضب لا أعرف أمن نفسي أم منها فذهبت إليها وجذبتها من يدها بلطف وقلت:

- مش كفاية رقص فرجتي علينا الناس كلها.

جلسنا إلى المنضدة المخصصة لنا وفوجئت ببعض زملائي في الكلية يتقدمون ناحيتي بضحك صاخب ويقول أحدهم وهو سامح :- البرنسيسة ندا معقولة؟؟ بتعملي إيه هنا

فقلت بهدوء كالذي يسبق العاصفة :- بنقضي شهر العسل

فمد سامح يده وقال:- مبروك يا فندم إنت فعلا كسبت البريمو ندا كانت برنسيسة الدفعه كلها

فرسمت ابتسامة صفراء على وجهي وقلت:- الله يبارك فيكم عقبالكم

ونهضت وأمسكت بيد ندا وقلت: عن إذنكم

فسمعت صوت من خلفي يقول:- يابختك يابن المحظوظة

نظرت إليها وكأني أراها لأول مرة لم يظن الجميع إنها شئ رائع ربما لأنهم لم يروا حبيبتي رائعة الجمال، لكن عندما تأملتها جيدا وجدت بها قدرا من الجمال والجاذبية وتذكرت كلمات الأجنبي الذي قال عنها إنها مثيرة فنظرت لجسدها فوجدتها لا بأس بها فقلت لنفسي لم أحرمها على نفسي وهي مباحة لي؟؟ لم لا أمتع نفسي ولو قليلا ؟؟ حتى لو أكن أحبها فإنني لا أبغضها ولا أشعر بنفور منها بل على العكس أكن لها كل تقدير والأن نالت إعجابي ،فلتكن زوجتي ولعل الله وضعها في طريقي لتكون سبيلي للنسيان. دخلنا غرفتنا وقالت لي:- خليك بره عشان أغير هدومي

فقلت لها وأنا أقترب منها هامسا:- غيري هو أنا مش جوزك

شعرت باضطرابها وخجلها فاقتربت أكثر وقبلتها في وجنتيها ثم في ثغرها ومازلت لا أشعر برغبة حقيقية فيها حتى أغمضت عيني وتذكرت لحظات شغفي وجنوني بحبيبتي عندها شعرت برغبتي فيها وصارت زوجتي.

كم هو مؤلم وجارح أن تكون في علاقة مع شخص وهو لايراك بل يرى غيرك، يغمض عينيه حتى لا تتلاقى عيونكما فيدرك أنك لست من يريد، وكم هو موجع أن يناديك بإسمه وينسى أو يتناسى من تكون وعندما ينتهي منك يتركك بلا كلمة واحدةاو لمسة حنون ويدير لك ظهره كأنه لايريد أن يتأكد أنك كنت أنت ولست من يريد.هكذا بدأت علاقتي به كزوجة كنت مدركة أنه يراها مكاني ولكني تأكدت عندما نداني بإسمها فشعرت بخناجرقسوته تدمي قلبي ، لم تكن تلك المرة الأولى ولا الأخيرة بل ظلت علاقتنا كزوجين على هذا المنوال إما يتخيلني هي أو يؤدي واجب ثقيل على قلبه صامتا .

في اليوم التالي صممت أن ننهي أجازتنا ونعود بحجة أني أفتقد أمي وأن أمه لن تقدر على رنا وحدها ، وافق بسرعة وكأنه أراد أن يخلص من ذلك المأزق السخيف.عدنا وسط دهشة الجميع ولكني رسمت ملامح السعادة على وجهي وصممت على السعادة وعلى أن أداوي جراح قلبه وأسعده بحبي. عاد ماجد لعمله

يخرج في الثامنة صباحا ولا يعود إلا في الثامنة أو التاسعه مساءا يأكل وينام بينما أنا أقضي نهاري مع أمه ورنا وشغل البيت، كانت الأيام طويلة ومتشابهة لا فارق بينها سوى اختلاف مناخ الصيف والشتاء فقط. كنت دوما أنتظر عودته في النافذة كما تعودت ولا أتركها إلا عندما أراه عند أول الشارع فأدخل مسرعة لأتأكد من ملابسي وزينتي ويطرق الباب ويدخل كعادته بلا كلام ، يأخذ حماما ويغير ثيابه بثياب البيت ويجلس على المائدة في إنتظار الطعام وأجلس معه بعد وضع الطعام بحجة إطعام رنا وأحاول أن أخلق أي مجال للكلام لعله يرفع رأسه وينظر إلي أو حتى يبتسم- وتلك من النوادر في حياته- وبعد إنتهاء الطعام يجلس قليلا أما التليفزيون حتى يغلبه النعاس. كنت أقدر مدى تعبه في عمله ولكن ذلك الجفاء في حياتنا كان يقتلني ، كثيرا ما أرسلت له رسائل غرام على الموبايل والكثير من النكت، وفي كل ليلة كنت أحرص على أن أمسك بيده قبل أن أنام لأشعر بالأمان، كل هذا لم يحرك فيه شعرة واحدة با بقي على حالة الجمود العاطفي تلك. بعد مرور عام على زواجي قررت ألا جدوى منه إنه يعيش بالكامل في الماضي ولا يشعر بي لقد تزوجني حقا لأرعى ابنته وأمه فقط لذا سأطلب منه الطلاق وألملم بقايا قلبي وكرامتي وأمضي بعيدا عن حياته فلم أعد أحتمل جفاف مشاعره وبرودة قلبه. في يوم أجازته بعد أن عاد من لقاؤه الأسبوعي مع أصدقاؤه وقبل أن يشرع في النوم قلت له:- ماجد أنا عايزاك في حاجه مهمه

رد دون أن يرفع عينه عن الموبايل وقال:- خير

-عايزة أتطلق

رفع عينيه وقال:- مش هتبطلي هزارك ولعب العيال ده

-أنا مش باهزر أنا باتكلم جد

-ليه؟؟

-مش عارف ليه؟؟ إنت مش معايا إنت عايش في الماضي ومش عايز تنساه ومش مديني فرصة أحاول حتى، إنت شايفني مجرد مربية لرنا مش أكتر وبتكافئها بإنك بتيجي على تفسك كل فترة وتعمل معاها علاقة وإنت بتمن عليها باللي بتعمله..إنت مبسوط بعيشتك لكن أنا لأ عشان كده عايزة أنفصل بهدوء ومن غير مشاكل

سكت ولم يجب للحظات ثم قال:- خلينا ندي نفسنا فرصة نفكر ونحاول تاني

-إحنا بقالنا سنة أعتقد ده وقت كفاية عشان نعرف هنكمل مع بعض ولا لأ، أرجوك أنا مصممه على الطلاق أنا تعبت من العيشة مع إنسان مش شايفني ولا حاسس بيه ولا بيحاول حتى يسعدني زي ما وعدني

وبكيت كما لم أبك من قبل وشعرت بالأرض تدور بي وسقطت وفقدت الوعي. أفقت فوجدتني في المستشفى وفي يدي محلول وماجد يجلس بجواري وأمي معه، شعرت برأسي ثقيلة وحاولت أن أرفع رأسي فشعرت بدوار فاقتربت مني أمي وقالت: - بلاش الحركة دلوقتي لحد المحلول ما يجيب نتيجة

ابتسم ماجد وقال:- خضيتنا عليكي كل ده عشان هتجيبيلنا مفعوص صغير؟؟

نظرت إلى أمي مستفهمه فقالت بنبرة حزن:- الدكتور قال الإغماء بسبب الحمل

ثم قالت لماجد :- روح إنت وأنا هابات معاها

فقال :- أنا مش هاروح غير وندا معايا

وضعت رأسي على السرير وأغمضت عيني وقلت بيني وبين نفسي (إنها إرادتك يارب يبدو أنك تريد لي أن أكمل معه حتى أوان أخر، ربما حقا تريد أن تمنحه فرصة أخرى).

جاء الطبيب وفحصني ثم كتب بعض الأدوية وسمح لي بالإنصراف ، غادرنا جميعا وأصرت أمي على أن أبيت معها حتى تتحسن صحتي فقال ماجد:- من فضلك يا طنط أنا عايزها معايا النهاردة ضروري وإبقي تعالي لها الصبح إطمني عليها.

نظرت إليه غير مصدقه ما يقول ولكن طمأنت أمي على حالي وأكدت على كلام ماجد، فذهبت لبيتها وهي مستاءة فقد كانت تشعر بأني غير سعيدة. ذهبت مع ماجد للبيت وكانت والدته ورنا نامتا فدخلنا غرفتنا فقال:- مبروك يا أم عتريس

سكت ولم أجبه فاقترب مني وضمني لصدره لأول مرة منذ زواجنا وقال:- سامحيني أنا فعلا كنت مقصر في حقك وماعرفتش غلاوتك عندي غير لما وقعتي وأحول أفوقك ماتفوقيش بقيت مرعوب وخايف تضيعي مني كان نفسي تفوقي عشان أقولك أنا غلطان ، أنا طمعان في كرم قلبك إنه هيسامحني ونبدأ من جديد

استكنت على صدره ففية وجدت بر أماني وموطني ونزلت دموعي فقال:- بلاش دموعك دي وأوعدك من النهاردة هأكون إنسان تاني ، المرة دي مش هاخلف وعدي، ياترى هتسامحيني؟؟

لم أجبه إنما رفعت رأسي وقبلته في وجنته وقلت:- هو أنا ليه بركة غيرك يا أبو عتريس

فضحك وقال:- مافيش فايدة عيله

بدأت حياتنا الجديدة من لحظتها بالفعل تغير كثيرا وصار يقضي معنا وقتا أكثر ويتكلم ويضحك ويداعب رنا ويشاكسني وزاد من سعادتنا قدوم أحمد ، حقا كنت ألاحظ أحيانا شروده ولكني كنت أتغاضى عنه لتستمر الحياة بلا مشاكل.حملت عنه عبء الأولاد وانغمس هو في عمله أكثر لأنه كلما كبر الأولاد زادت الأعباء. شجعته على أن يبدأ عمل خاص به مساءا ،تردد في البداية لكنه قرر أن يغامر وبدأ يحقق نجاحا كبيرا فترك عمله وتفرغ لشركة المقاولات التي شاركته فيها بما أملكه من مشغولات ذهبية.

مضت بنا الحياة بحلوها ومرها ولم تخل من المشاكل الزوجية البسيطة لكني كنت لا أحتمل خصامه فكنت أسرع لمصالحته ، كنت أعلم أنه يحبني بطريقته الخاصة فهو يشعر دائما بحاجته إلي ويعلم أني أذوب فيه عشقا وهذا أكثر شئ يحبه في.

وفي عيد ميلاد رنا السادس عشر قررت أنا وهو أن نحتفل بها إحتفالا متميزا ورحت أعد كل شئ ولا أغفل أي تفاصيل لأسعدها فقد كنت أحبها كثيرا ولم أجعلها تشعر يوما أني لست أمها. وجاء ميعاد الإحتفال في

المكان المخصص في النادي وحضرت صديقاتها وبعض الأهل والأقارب وتكفل أحمد بتصوير الحفل- حيث كانت تلك هوايته المفضلة- وظللنا ننتظر زوجي الذي لم يحضر في موعده واتصلت به كثيرا ولم يجب ثم أغلق هاتفه شعرت بالقلق عليه فأرسلت له رسالة على الواتس أب على الرقم الأخر وقلت له (طمني عليك ما جيتش ليه) فأجاب بعد قليل(شغل مهم جدا ما تستنونيش) . شعرت بالقلق فهو لم يتعود على أن يفضل العمل علينا بل إنه من اقترح إقامة تلك الحفلة وهو كان في قمة السعادة لبلوغ رنا 16 عاما، ترى ماذا حدث؟؟ أخفيت قلقي عن الجميع وخاصة رنا واعتذرت للجميع بأن لديه شغل مهم إضطره للتأخير. مضى الإحتفال دون مشاكل ولكن عندما ركبنا السيارة للعودة بكت رنا وقالت:

- يعني الشغل أهم مني، أنا زعلانة منه ومش هاكلمه تاني

-ياحبيبتي غصب عنه ولما يرجع هنعرف منه إيه اللي حصل ما تزعليش

كنت متوترة جدا وقلبي يخبرني ألا ألتمس له العذر لأنه لن يؤخره عن رنا سوى شئ خطير ترى ماهو؟؟ انتظرت عودته حتى غلبني النوم وأفقت على صوت أذان الفجر وبحثت عنه فوجدته لم يعد بعد، شعرت بخوف شديد وإنقباض في قلبي. اتصلت على موبايله مازال مغلقا فقمت وتوضأت وصليت وجلست أدعو الله أن يعيده لي بالسلامة . بعد عدة دقائق سمعت صوت مفتاحه يفتح الباب فقمت مسرعة نحوه وقلبي يخفق خوفا من أن يكون أصابه ضرر، وعندما نظرت في وجهه أدركت أن هناك مصيبة حدثت فقد كان يبعد عينيه عني فسألته عما به فجبني من يدي وأجلسني على سريري وأغلق الباب وجلس بجواري وقال:

-عايزك تسمعيني للأخر من غير ما تقاطعيني وماتاخديش قرارات متسرعة، يارا رجعت إمبارح مصر بعد ما جوزها مات وعدتها انتهت ،هربت من أهلها عشان ترجعلي ومالهاش حد غيري وكلمتني إمبارح وطول الليل بافكر أعمل إيه، يارا هي حب عمري وأهلها اللي فرقوا بيننا ولما رجعت لي روحي رجعت لي، لكن في نفس الوقت مش عايز أظلمك أنا عمر ماحد حبني بعد أمي زيك وكفاية إنك ربيتي بنتي وأم ابني ولكي في قلبي معزة خاصة وباحترمك وما أقدرش أستغنى عنك..فضلت طول الليل حيران بين قلبي وعقلي وأخيرا ربنا هداني لحل ويارا وافقت عليه إني أتجوزها وأخليكي على ذمتي برضه وفعلا إتجوزنا النهاردة ، أنا عارف إني باحملك فوق طاقتك وعارف إن ردك دلوقتي هيكون إنفعالي وهيكون عبارة عن غضب لكن لما هتهدي وتفكري بعقلك هتعرفي إن الحل ده أنسب حل لنا كلنا لأني باحب يارا وما أقدرش أخسرك وعايز أولادي يعيشوا بيننا..أرجوكي فكري بعقل وهدوء وأنا هاسيبك كام يوم تفكري وأيا كان قرارك أنا موافق عليه وهانفذه.

وقع كلامة علي كالصاعقة فلم يخطر ببالي ولو للحظة أن تعود يارا لتقلب حياتي بعد أن استقرت وتسرق مني حب عمري دون أدنى مجهود ، كما لم أتخيل ولو للحظة أن يتخلى عني ماجد بهذه السهولة و كأني لم أكن بحياته ولم أمنحه حبي وحياتي وسنوات شبابي ، وكأني لم أكن له زوجه وحبيبه وصديقة بل وأم بعد أمه...تبا لكم أيها الرجال كم تنسون الحب والتضحيات وسنوات العمر بسهولة..ولا تعرفون من الدين سوى تعدد الزوجات وتنسون أن التعدد مشروط بالعدل وموافقة الزوجة الأولى..ما أسهل غدركم..ترى لو كنت أنا من فعلت هذا هل كنت ستغفر لي؟؟

نظرت في عينية للحظات ولم أبك أو أصرخ أو أقذفه بسيل من الكلمات الجارحة وحتى لم أسأله لم فعل هذا بي ولكني صمت للحظات ثم قلت له بهدوء:

- لم كل هدومك وحاجتك وأخرج من هنا

فنظر إلي متعجبا من قوتي وصلابتي وكأنه كان يتوقع بركانا ينفجر في وجهه، ثم قام بهدوء وجمع ما يحتاجه وأنا مازلت جالسة في مكاني بلا دموع ولا صراخ ولا نحيب فقط جملة واحدة تتردد في عقلي :-

(أمي كانت على حق هو لايستحق)

ظلت الجملة تتردد كأنها إسطوانة مشروخة حتى كدت أصرخ لأتخلص منها ، لكني أفقت على صوته يقول:-

-أنا سبت لكم فلوس في الدولاب عشان احتياجاتكم وفي إنتظار ردك، بس أرجوكي فكري بعقل وبلاش إنفعال ،فكري في بيتنا والأولاد ومصلحتهم.

نظرت إليه وكأني أراه لأول مره لقد كنت أراه كما ترسمه لي عيون قلبي، أما الأن فأنا أراه على حقيقته إنسان أناني إستغل حبي ليحقق مصلحته واستقراره ، إنه لم يحبني يوما بل أحب حبي له فتلك المشاعر كانت ترضي غروره كرجل، أما قلبه فكان ملك إمرأة أخرى.

كان يظن أن صمتي نتيجة لصدمتي ولكنه لم يدرك أنه سقط من نظري ومحا في لحظة كل مشاعر الحب التي كانت تملأ قلبي بل وكل كياني. بمجرد خروجه إنفجرت أنهار الدموع ، لم تكن دموع الألم والقهر بقدر ما كانت دموع الندم على حبي الذي منحته لمن لا يستحق، دموع ندم على سنوات عمري أضعتها ولا أنتظر مقابلها سوى كلمة حب وإخلاص فكان جزائي الغدر، ندم على حب أعماني عن حقيقة إنسان عشت معه سنوات وأنا أظنه شخصا أخر، ندم على لحظات حب عشتها معه وكنت أظنها صادقة لكنها كانت وهم وسراب. لم أكن أبكيه فقد أدركت أنه لايستحق حتى دموعي ،لكني كنت أبكي عمري ومشاعري وحياتي فقد أهدرتهم بلا فائدة على شخص لن يدرك قيمة ما ضيعه من بين يديه إلا عندما تعاقبة الأقدار على ظلمه لي.

قمت من مكاني وصليت لله وبكيت بين يديه كثيرا ودعوته أن يلهمني الصواب وينير بصيرتي وطلبت منه أن ينصفني، ثم جلست لأقرأ القرأن ليمن الله على قلبي بالسكينة. بالفعل هدأت نفسي وبدأت أفكر بهدوء وقررت أن أبيع شقة والدتي فقد عرض علي صاحب العمارة مبلغا كبيرا لأخليها لابنه ليتزوج فيها فطلبت منه مهلة للتفكير، والأن سأبيعها وبثمنها سأشتري شقه أخرى في منطقة بعيدة عنه وعن حبيبته حتى لا ألتقيهما ولو صدفة خاصة بعد الطلاق.

فكرت أن أترك لهما رنا ولكن قلبي لم يطاوعني فإن كانت هي ابنتها بالمولد فهي ابنتي بالتربية ، فليست الأم هي من تلد وتهجر أبناءها بل الأم هي من تربي وتتعب وتسهر على راحتهم وتبذل كل جهدها لإسعادهم حتى لو على حساب راحتها، لذا قررت أن تعيش رنا معي وإن اختارت أمها فهذا حقها ولن أحرمها منه لكنها ستظل ابنتي. سأترك لهما عالمهما لينعما فيه بقصة حبهما وسأبتعد أن وأولادي ونعيش معا والحمد لله

أني لي عملي ولي ميراثي من أمي الذي شاركته به في شركته ، سأفض تلك الشراكه بعد الطلاق وأطالب بحقي فأنا لا أريد أن تكون لي أية صلة به.

بررت للأولاد غياب أبوهما بسفره للعمل لعدة أيام بعدما أخبرته بذلك على الواتس أب، اتصلا به فأخبرهما بإنشغاله بعمل مهم خارج مصر وأنه سيحضر لهما الهدايا عند عودته. في المساء دخلت رنا غرفتي فوجدتني أصلي وأبكي فانتظرت حتى انتهيت فجلست بجواري على سجادة الصلاة وأمسكت بيدي ووضعت رأسها على كتفي وقالت بحزن:

- مالك يا ماما فيه حاجه مش طبيعيه بينك وبين بابا ومخبينها عني هي إيه؟؟ بابا تعبان؟؟ ولا زعلان مننا في حاجه ؟؟ إنتوا متخاصمين؟؟ أنا كبرت يا ماما وهأقدر أفهم

-مافيش حاجة.

-مافيش حاجه إزاي إنتي على طول حزينه ومابتبطليش عياط فاكراني مش شايفاكي؟؟ لأ شايفاكي وحاسه بيكي بس مش فاهمه فيه إيه

-فيه مشكلة كبيرة بيني وبين بابا

-كل مشكلة تتحل بالحب والتفاهم مش ده كلامك؟؟

-المشكلة اللي بيننا أكبر من كده بكتير

-عشان كده ماجاش عيد ميلادي؟؟ طب أنا ذنبي إيه؟؟

- أنا هأخليه ييجي ويفهمكم كل حاجه بنفسه فعلا إنتم مش صغيرين ولازم نشارككم في مشاكلنا وقراراتنا لأنها تمسكم وتأثر على حياتكم زينا.

-أرجوكي يا ماما ماتزعليش وأنا هاخليه يصالحك

قبلتني وضمتني لصدرها وكم كنت أحتاج لمثل تلك المشاعر الصادقة فضممتها بقوة وقبلتها وقلت لها:-

-ربنا ما يحرمنيش منك يا حبيبتي

اتصلت بماجد وطلبت منه الحضور ليحكي للأولاد ما حدث ويسمع قراري، جاء ماجد لكنه لم يكن ماجد الذي أعرفه كان شخصا أخر، تبدو عليه السعادة وكأن سنوات العمر عادت به للوراء وصار يرتدي ألوانا مبهجة وملابس تليق بمن يصغرونه بعشرين عاما، حتى أن أحمد قال له مازحا :-

-إيه الروشنه دي يا حاج إنت بتلعب بديلك ولا إيه؟؟

-أنا عايزكم النهارده في حاجه مهمه جدا وعايزكم تسمعوني كويس وتفهموني وتقدروا ظروفي

ابتسم ابتسامة باهته يداري بها ارتباكه وخجله وجلس بيننا وبدأ يحكي لهما قصته من بدايتها حتى قراره بالزواج من يارا، وأحمد ويارا صامتان وكأنهما لايصدقان ما يقوله لهما ، ثم نظر أحمد لي وقال:-

-وإنت رأيك إيه؟؟

فقلت بهدوء:- قبل ما أقول رأيي لازم تسمعوا حكايتي أنا كمان عشان تفهموا وتقدروا

وبدأت أحكي لهم قصة حبي ذات النهاية الحزينة، ثم قلت :

- وبعد مافكرت كويس وإستخرت ربنا قررت إني ما أقدرش أعيش مع إنسان ما قدرش حبي وسابني أول ما رجعت له حبيبته القديمه عشان كده أنا باطلب الطلاق

هنا صرخت رنا وسقطت مغشيا عليها، جريت عليها بفزع وضممتها لصدري وطلبت من أحمد أن يحضر لي زجاجة العطر بسرعة ، بدأت رنا تفيق رويدا رويدا حتى أفاقت تماما فضممتها لصدري وقلت لها:-

- متخافيش مش هاسيبك إنتي بنتي مهما حصل وأنا عارفه إن اللي بيحصل فوق طاقتك على الإحتمال لكن أنا مش مسئوله عنه، كمان ربنا بيحطنا في موقف صعبة عشان يختبر مشاعرنا ويشوفنا هنتصرف إزاي وهنفضل نلجأ له ونحمده ولا هنكفر...حبيبتي الدنيا فيها لحظات حلوة ولحظات قاسية لازم نعيشها بحلوها ومرها ومانخليش قسوتها تكسرنا بالعكس تقوينا

قامت رنا فقال أحمد بصوت حزين لكنه صوت العقل:- يعني محدش فيكم هيفكر يرجع في قراره عشان مصلحتنا والبيت ده يستمر؟؟

سكت ماجد ونظر للأرض فقد كان يعلم أنه المسئول عن كل ذلك الاضطراب لكنه ليس مخطئا فقد لبى نداء قلبه بعد سنين حرمان، فقلت :

- حتى لو رجعنا عن قرارتنا ورجعنا لحياتنا مش هنرجع زي الأول لأن فيه حاجه بيننا انكسرت ومش ممكن تتصلح، هنعيش في تعاسه لأننا عملنا حاجه مافيهاش سعادتنا وكمان لأننا بنكدب على بعض وعليكم ...الأصح إننا كلنا نحتمل شئ من الألم وبكره هيعدي على إننا نعيش متألمين العمر كله وبنخدع بعض كلنا.

فقال ماجد بصوت هادئ:- يعني ده قرارك الأخير مش محتاجه فرصه تانيه تفكري؟؟

-لأ بس من فضلكم يا أولاد سيبونا لوحدنا فيه كلام خاص بيني وبين أبوكم

إنصرفا والحزن يحطم قلبي قبل قلبيهما ولكن لابد مما ليس منه بد، فقلت لماجد:-

-من فضلك بكره هنروح سوا للمأذون ونتطلق طلقه بائنه عشان أنا مش عايزة أرجع تاني

-ياااه للدرجة دي عايزة تخلصي مني؟؟

-تصور؟؟ كمان شقتك ماتلزمنيش أنا اشتريت شقه جديدة هانتقل لها أنا والأولاد خلال اسبوعين إن شاء الله مش عايزة أي حاجه تفكرني بيك وبسنين ضيعتها على الفاضي.

-وبنتي؟؟

-قصدك بنتنا أنا ليه فيها أكتر مالك فيها أنا اللي ربيت وكبرت وتعبت وإنت ماكنتش تعرف عنها حاجه أكتر من طلباتها،أنا اللي كنت باسهر وهي تعبانه وأذاكر معاها وأحلم معاها وألعب معاها،أنا اللي أعرف أصحابها وهواياتها وطموحاتها، أنا أمها

-يعني هتحرميها من أمها الحقيقية؟؟

-الحقيقية أنا اللي أمها و هي أمها بالإسم اللي تسيب بنتها تحت أي ظرف مش أم..أنا لو حد فكر ياخد رنا مني ممكن أموته..بس أنا مش أنانيه أنا مش هاحرمها من أمها هاسيب لها حرية الإختيار.

-عموما كل طلباتك مجابه وأرجوكي ماتحرمنيش من أولادي ولا تكرهيهم فيه

-مش هاعمل ده بس مش عشانك لأنك ماتستحقش إنما عشانهم وعشان نفسيتهم

كانت الأيام التالية من أقسى الأيام على قلوبنا جميعا حيث تمت إجراءات الطلاق والإنتقال للشقة الجديدة في حي يبعد كثيرا عن ماجد ويارا،حزن أولادي لفراق أصدقائهم ولكني حرصت أن يبقيا في نفس المدرسة على أن يستقلا أتوبيس المدرسة للبيت، كما لجأت لحسين ابن خالتي المحامي ليبدأ إجراءات فض الشراكة بيني وبين ماجد فأثرذلك كثيرا على عمله وعلى مستواه المالي مما أثار غضب يارا التي اعتادت أن تعيش في مستوى معين فظلت تتصل بي لعدة أيام من أرقام مختلفة تشتمني وتتهمني بالحقد عليها والغيرة لأن ماجد فضلها علي وأني أنتقم منه لذلك، اتصلت بماجد وطلبت منه أن يوقفها عند حدها وإلا سأتخذ ضدهما إجراءات قانونية.

أرادت يارا أن تنتقم مني فأخذت رنا بالقوة ومنعتها من زيارتي أو الإتصال بي مما أثر على نفسيتها جدا وعلى نفسية أحمد فهما لم يفترقا يوما منذ طفولتهما ورغم مشاحناتهما إلا أنهما لايستطيعان العيش بدون بعضهما ، رجوت ماجد كثيرا ألا يفرق بينهما لكنه كان ضعيف أمام يارا ورغباتها وهي كانت عنيدة ولا تستجيب له، حتى سقطت رنا تحت وطأة الإنهيار النفسي ، فلم يحتمل عقلها كل تلك الصدمات المتتالية، جريت إليها في المستشفى فمنعتني يارا من زيارتها وظلت تصرخ بوجهي وتتهمني أني أريد أن أخطف منها زوجها وأحرض ابنتها عليها وطلبت الأمن وطلبت منهم منعي من دخول المستشفى ثم ذهبت لقسم الشرطة وقدمت بلاغ اتهمتني فيه بمحاولة خطف ابنتها وجاءت الشرطة لبيتي واقتادتني أمام ابني وجيراني للتحقيق معي . إتصل أحمد غاضبا بوالده وقال له:

- لو ماما ما رجعتش البيت النهاردة واترد لها إعتبارها إنسى إن لك ابن اسمه أحمد العمر كله وأنا هاعرف أخرجها إزاي

ثم اتصل بحسين وجاء معه للقسم ليكون بجواري، لقد أنضجته الأيام والمحن قبل الأوان ، وتحمل خطايا غيره.

جاء ماجد مسرعا للقسم وقابل المأمور وأفهمه أن هناك سوء تفاهم وأن الموضوع ليس أكثر من غيرة بين إمرأتين ورجاه أن ينهي الموضوع بصفته ولي أمر رنا وهو المسئول عنها وينفي عني أي إتهام. تم إغلاق المحضر وبعد الإفراج عني اعتذر لي ماجد أمام أحمد ووعدني ألا يتكرر ذلك.هدأت الأمور عندما بدأت الدراسة وبدأ أحمد ورنا يلتقيان في المدرسة وأرادت يارا نقل رنا من المدرسة لإبعادها عن أحمد فهددتها رنا بالإنتحار فتراجعت يارا. مرت الأيام ثقيلة وقلبي يتمزق لفراق رنا لكني كنت أطمئن عليها من خلال أحمد أو من خلال إتصالها بي خلسة، وأحيانا كنت أقابلها عند إحدى صديقاتها الاتي لم تفكر يارا في التعرف عليهن ولم تحاول حتى التقرب من ابنتها لتعويضها مافاتها. لم تتحسن أحوال ماجد المالية إنما ظلت الأزمات تلاحقه وتعرض لخسارات كبيرة مما أثر كثيرا على مركزه المالي وعلى سمعته. عرفت من خلال رنا أن المشاكل دبت بينه وبين يارا عدة مرات بسبب نقص المال فهي اعتادت أن تعيش في مستوى مادي معين وترفض التنازل عن مطالبها بسبب ظروف ماجد المالية وتؤنبه دائما على خساراته وأنه لايبذل جهدا لكسب المال اللازم لإحتياجاتها.لم تحتمل معه أكثر من عامين ثم طلبت الطلاق وتركته مع رنا وهي على أعتاب الثانوية العامة وسافرت لأهلها.

ظل ماجد مصدوما لفتره وتأثرت نفسيته كثيرا فطلبت منه أن يرسل لي رنا لأتابع دروسها بنفسي حتى لا تتأخر عن زملائها فوافق لأنه لم يكن قادرا على رعايتها. بعد فترة جاء لي ماجد منكسرا بعد أن كاد أن يفقد شركته ، بل وصحته فقد مرض وفقد الكثير من وزنه حتى أصابه الشحوب، وطلب مني أن أسامحه وأعود له كزوجة وأنه عرف قيمتي فأنا من وقفت بجواره بمالي وجهدي وتشجيعي له بينما هي لم تحتمل ظروفه إنما كانت تحمله فوق طاقته. فقلت له بهدوء:-

-تعرف يا ماجد أنا طول السنين دي كنت فاكره إني بحبك ولكن فترة إنفصالنا دي وضحت لي الصوره أنا كنت بس متعوده على وجودك في حياتي وده خلاني ما أشوفش غيرك ولا أحس بغيرك فافتكرت نفسي بحبك، كنت فاكره لما هتبعد عني هانهار وأموت من غيرك، لقيتني زعلت شوية بس بعد كده عشت حياتي عادي، تعرف ده معناه إيه إني ماكنتش بحبك إنت إنما كنت بحب إحساسي بالحب وتعودي عليك صورلي مشاعري على إنها حب، إحنا لو رجعنا لبعض هنرجع مجرد ديكور قدام الناس بس لكن مش هنقدر نضحك على نفسنا تاني ونقول إننا بنحب بعض، لو رجعنا هتكون إنت متوقع ندا بتاعة زمان ومش هتتخيل في السنتين دول أنا إتغيرت إزاي ، كمان الولاد علاقتهم بيك وبيه إتغيرت عن الأول. خلينا كده أحسن ونفضل نتعامل مع بعض بإحترام أحسن مانعيش مع بعض وإحنا مش بنحب بعض.

-إنت بتقولي كده عشان لسه مش قادره تسامحيني؟؟

-أنا سامحتك من فترة طويلة لكن التسامح حاجه والحب حاجه تانيه

-فكري تاني وكأننا إتنين عارفين بعض وبيفكروا يرتبطوا

-ما أقدرش أخوض التجربه دي تاني كفايه اللي جرالي منها سنين

-يعني مافيش أمل؟؟

-ليه مافيش أمل خلينا نتعامل باحترام عشان خاطر أولادنا ويمكن أتعود عليك تاني وأرجع تاني، ماحدش عارف بكره فيه إيه.

تمت

فكروني

هذه أول زيارة لي لبيت جدي لأمي منذ أن كنت طفلة ، لقد سافرت مع أبي وأمي إلى عدة دول في أوربا حيث كان أبي يعمل هناك ، ولأني طفلته الوحيدةفكان يدللني كثيرا ويمنحني الحرية لأفعل ما يحلو لي مثل الأوربيات ماعدا العلاقات الجنسية فكانت خط أحمر لي فكنت ألبس ما أريد وأخرج كما أشاء وأصادق الجميع شباب وبنات. حرصت أمي قبل الزيارة أن تختار لي ملابس محتشمة لأن جدي وأخوالي كانوا (دقة قديمة) كما كان يقول أبي دائما ولن تعجبهم ملابسي المكشوفة والعارية وألوان شعري التي أغيرها وفقا لملابسي وماكياجي الصارخ. لم أستجب لما اختارته أمي-كعادتي- واخترت إرتداء جيب شورت أسود فوق الركبهبكثير وبدي أحمر بلا أكمام بصدر مفتوح ليبرز مفاتني وصففت شعري الأسود كيرلي (مجعد) لأبدو كالغجر في أوربا ، أما ماكياجي فحرصت أن يكون بسيطا بسبب حرارة الجو الفظيعة.

دخلت بيت جدي العتيق في الحي الشعبي –مقارنة ببيتنا وحينا الراقي- وأنا أتبختر كالطاووس فليست في العائلة فتاة أجمل مني فأنا بيضاء بعيون عسلية فاتحة وتبدو أحيانا خضراء، قوامي متوسط الطول أميل للرشاقة لأني أعمل كموديل في عروض الأزياء وجاءني عرض للعمل كموديل مع أحد المغنيين فكنت بالنسبة للعائلة فتاة منحلة.بمجرد دخولي البيت كالعادة أثرت إعجاب كل أبناء أخوالي وخالاتي وحقد كل بنات العائلة لأني أخذت منهن كل اهتمام الشباب ، كنت أغمر الجميع بنظراتي الفاتنة وابتسامتي المصطنعة حتى لا يفلت أحد من تأثيري ويقع كل الشباب في غرامي، كان هذا وسيلة لتسليتي وإرضاء غروري كثيرا. وبعد نحو الساعة وقرب موعد الغداء دخل ذلك الشاب الملتحي متوسط القامة ملامحه عادية جدا وملابسة أقل من العادية، لكن الكل يهتم به ويبدي له التقدير وخاصة خالي الكبير، أما أمي فلم تتمالك نفسها وجرت عليه بلهفة تحتضنه وتقبله وتقول:

-يوسف حبيبي وحشتني ماشاء الله بقيت نسخه من يحيى الله يرحمه

قبلها بحب وارتسمت على وجهه ابتسامة بشوشه، انتظرته أن يأتي للجلوس معنا لينضم لقافلة المعجبين لكنه لم يأت ولا حظت بنت خالي نظراتي له واهتمامي فقالت ساخرة:

- ماتحاوليش مولانا الشيخ مابيكلمش بنات ولاحتى بيسلم عليهم إنسي ده معقد.

استفزتني كلماتهافقمت من مكاني وذهبت حيث يجلس ووقفت أمامه بقوامي الممشوق وبنظرة مباشرة في عينيه السوداء وقلت:

- مش تعرفينا يا ماما

-ده يوسف ابن خالك يحيى الله يرحمه ودي مايا بنتي يا حبيبي

مددت يدي للسلام فلم يمد يده ولم ينظر إلي وقال: تشرفنا

هممت بأن أتكلم ولكن نظرة صارمة من جدي منعتني وقال بحدة :

-روحي اقعدي مع باقي الولاد

انصرفت غاضبة فتلك أول مره أجد من يقاوم جمالي وأنوثتي الطاغيةلكن صممت ألا يفلت من يدي سأوقع به قبل أن يمشي وسيصبح مجنون مايا. واتتني فرصة ذهبية أثناء الغداء في البداية ظننت أننا سنأكل جميعا معا ، لكني عرفت ان الرجال يأكلون بمفردهم فادعيت أنني سأساعد خالتي في وضع الطعام وبدأت أتحرك ذهابا وجيئة أمامه أتمايل بقوامي الممشوق فلم يرفع عينيه إلي وتجاهلني وكأني غير موجوده أصلا أو أنه لا يراني، فصممت ألا أتركه وبعد وضع الطعام جلس الجميع في أماكنهم وتعمدت ألا أضع أمامه طبق ولا ملعقة ثم جئت من بينه وبين جدي –الجالس بجواره- ودخلت بنصفي العلوي واقتربت منه بشدة بحجة وضع الطبق والملعقة ، بمجرد وجودي بجواره شعر بالإرتباك ونظر في عيني ثم أخفض عينيه سريعا، تعمدت أن أطيل وقفتي حتى قال جدي بغضب مكتوم :

-شكرا يا مايا تقدري تروحي تاكلي.

انصرفت مبتسمة لقد حققت نصرا شعرت به في ارتباكه ولكن ماذا حدث لي؟؟ لم دق قلبي بعنف بمجرد أن التقت عينانا؟؟ لقد رأيت رجالا كثيرين أكثر وسامة وأناقة ولباقة منه ولكن لم يكن لأحد مثل هذا التأثير علي، هل سعادتي بالإنتصار فقط أم أن قربه مني أسعدني؟ كفى أوهاما يا مايا هي فقط نشوة صيد الفريسة.بعد الغداء مباشرة تعلل بأن لديه عمل وقام لينصرف فلحقت به عند الباب وقلت له برقه تُذيب الحجر:

-مع السلامه يا يوسف خلينا نشوفك

رد وهو ينظر إلى الأرض:

-إن شاء الله.

يالتلك الفتاة الجريئة، لم أقابل مثلها من قبل، ترى لم تهتم بمثلي فأنا لم أرها إلا للحظات ولست أوسم ولا أغنى الموجودين فلم كل هذا الإهتمام من فتاة جميلة مثلها؟؟أستغفر الله العظيم لاتتبع هوى نفسك يا يوسف لقد أقسمت لوالديك أن تسير في طريقهما ولا تحيد عنه، دعها وشأنها وامض في طريقك، لابد أنها فتنة ألقى الله بها في طريقك ليختبر إيمانك. وتذكرت كلمات والدي إنهما أطلقا علي اسم يوسف لأكون تقيا عفيفا كسيدنا يوسف ، ابتسمت وقلت:

- لكني لا أملك جزء من جمال سيدنا يوسف

فقالت أمي:

-ربنا يكفيك فتنة زوجة العزيز وصاحباتها وأمثالهن يابني

لم أذق طعم النوم حتى عرفت من أمي كل التفاصيل عنه ،خالي يحيى تزوج على غير رغبة جدي من أم يوسف وكانت فتاة فقيرة لكنها على خلق عال ومتدينة بل ومنتقبة مما زاد من رفض جدي لها لأنه يظن أن كل منتقبة إرهابية، لكن خالي أصر فطرده جدي من البيت وقطع علاقته به حتى يوسف لم يره عند ولادته وأجبر كل أخوالي وخالتي على مقاطعته لكن أمي كانت تذهب لزيارتهما دون علم جدي ويوسف تمت ولادته في حضورها وكانت تحبه كثيرا ولكن صلتها انقطعت بهما عند زواجها وسفرها للخارج مع أبي، ثم مات خالي يحيى في حادث سيارة ويوسف عمره 10 سنوات ورفضت أمه الزواج حبا في خالي وحتى لاتترك يوسف أو يتنزع جدي حضانته منها، فرضي عنها جدي وأحبها وصار ينفق على يوسف وأصبحت له مكانة خاصة عند جدي وزادت لما رأي تفوق يوسف الدراسي وتخرجه كمهندس معماري وتدينه أيضا. ماتت أم يوسف بعد تخرجه ورفض يوسف أن يترك بيت والديه ويأتي للعيش مع جدي كما أنه أصر على أن ينفق على نفسه، لكنه يحرص على ميعاد التجمع الأسبوعي يوم الجمعة عند جدي. أدركت أنه يختلف عن غيره ولابد أن أخطط له جيدا لأوقع به. ذهبت الجمعة التالية بملابس محتشمة لكنه لم يأت فقررت أن أفاجئه مفاجئة العمر فأخذت رقمه من موبايل أمي واتصلت به :

-ألو يوسف؟

-السلام عليكم أيوه مين حضرتك؟؟

-معقول مش عارف صوتي ؟؟لحقت تنساني؟؟

-من فضلك أنا مش فاضي إنت مين وعايزه إيه؟؟

-أنا مايا ...سكت للحظات ويبدو أنه فوجئ بجرأتي،ثم قال:

-أهلا هي عمتي كويسه؟؟

-أه وبتسلم عليك أوي أصلنا قلقنا عليك لما ماجيتش الجمعه اللي فاتت ووحشتنا فقلنا نطمن عليك

-سلمي عليها كتير ولو جنبك ياريت أكلمها

-هي نامت ووصتني أكلمك وأطمن عليك

-شكرا السلام عليكم

أغلق الهاتف وأنا ابتسم وتذكرت كلمة سعاد حسني الشهيرة(ياواد ياتقيل)، يبدو أنه يقاوم جمالي بصعوبة. تعجبت من نفسي لشعور غريب يجتاحني في البدايه كنت أريد الإيقاع به أما الأن فأنا مهتمة به وأسعد بسماع صوته وحتى بطريقة كلامه الجافة، ماذا حدث لي؟؟ يبدو أنني تأثرت بالمغامرةوبإتقان دوري جيدا. في الجمعة التالية جاء مبكرا قبل حضورنا واعتذرعن الغداء وانصرف لكننا تقابلنا على السلم وكان والدي يركن سيارته ،فقابلته أمي بلهفتها المعتادة واحتضنته وقالت:

-يويو حبيبي واحشني

ابتسم وقال:

-ياعمتي كبرت على يويو دي

-هتكبر عليه؟؟ فقال :

-العفو ياعمتي ..وجذب يدها وقبلها فاحتضنته وقبلته وقالت:

-إنت الغالي إبن الغاليين

بينما كانت أمي تحضنه كنت أقف خلفها فتلاقت أعيننا وأنا مبتسمة، فسرعان ما خفض عينيه فقالت أمي:

-رايح على فين؟؟

-عندي شغل إدعيلي ياعمتي..

-داعيالك في كل صلاه يا حبيبي

إستأذن منصرفا وصعدت أمي السلالم فلحقت به وقلت برقة :

-يوسف...توقف ولم يلتفت وقال: نعم

-أنا بدأت أقرا عن الإسلام وبحاول أفهمه بس فيه حاجات مش فاهماها

-إبقي إسألي جدي هو هيفهمها لك أحسن مني عن إذنك

-إنت بتكرهني ليه يا يوسف؟؟

-أنا مش باكرهك لكن مش فاضي

-مش بتكرهني يعني بتحبني

لم يجب وإنصرف مسرعا، كم كنت أتمنى أن يلتفت إلي وينظر في عيني بشوق ويقول: نعم أحبك.

غاب أسبوعين ولم يحضر لبيت جدي فقررت أن أقتحم حصونه وأجعله يستسلم بل ويخر راكعا أمام جمالي معترفا بحبي وعندها فقط سأفكر ماذا سأفعل به. ذهبت له في بيته وأنا في كامل زينتي،قرعت الجرس ففتح لي بملابس البيت كان مرتديا بنتاكور وتيشيرت بلا أكمام-بسبب حرارة الجو- وقف للحظات مذهولا وأنا مبتسمة وقلت له بدلال:

- مش هتقولي اتفضلي

ظل ينظر إلي بذهول ولا يتحرك فهممت بالدخول لكنه نظر إلي نظرة أفزعتني وقال بحدة :

-تدخلي فين انا عايش لوحدي إنتي إتجننتي؟؟ ولا فاكرة نفسك في أوربا؟؟ إتفضلي روحي قبل ماحد يشوفك وتبقى فضيحة

-الحق عليه إني قلقت عليك وجيت أطمن عليك؟؟

تحول في لحظات لوحش مخيف وقال بصوت مرعب :

-إمشي من هنا ومالكيش دعوه بيه نهائي وإنسي إننا قرايب وإياكي أشوفك في أي مكان أو حتى تحاولي تتكلمي معايا تاني إنتي فاكراني هاريل عليكي ؟؟ اللي زيك عارضه لحمها للكل يتفرج لكن أنا مش غاوي فرجه عايز واحده عفيفه ، إنتي رخيصه وأنا عايز واحده غاليه ومتصانه مش فرجه للي رايح واللي جاي فهمتي ولا أقول أكتر؟؟

أغلق الباب بعنف في وجهي حتى شعرت بزلزلة كياني كله، وقفت مكاني للحظات وأنا في ذهول فلم أتخيل للحظه أن يفعل معي هذا أو أن يهينني ويجرح مشاعري هكذا، و لاتخيلت للحظة أن تكون تلك صورتي عنده، ولا أن يكون هذا رد فعله.تحركت بصعوبة وعدت للبيت وأغلقت باب غرفتي وإنهرت باكية على سريري وصوته يرن في أذني(إنتي رخيصة) هل أنا حقا هكذا؟؟ أهذه هي صورتي في نظره؟؟ ترى ماذا يقول عني الأخرون؟؟ هل يروني مثله أيضا؟؟

بقيت ليومين في البيت لا أخرج ولا أتكلم وأمي لاتعرف السبب حتى طلبت منها زيارة جدي فتعجبت لكنها تركتني أذهب إليه بمفردي كما طلبت، جلست مع جدي بمفردنا لأول مره وتحدثنا طويلا عن عادات المجتمع هنا وعن الإسلام وعن نظرة الناس لي ولعملي وملابسي، كان يحدثني بحب وحنان لأنه خائف علي من الزمن والناس كما قال لي. شعرت بإرتياح نفسي كبير بعد حديثي مع جدي وفهمت سبب نفور يوسف مني، قررت أن أترك العمل وأحاول أن أغير من شكلي وملابسي وأن أنتبه لدراستي. لم يأت يوسف لمدة أسبوعين متتاليين وحمدت الله على ذلك، وفي الأسبوع الثالث ألح عليه جدي إلحاحا كثيرا حتى جاء وتعمدت أن أتجنبه وألا تلتقي عيناي به فأنا أشعر بالخجل من نفسي ومما فعلته ومن نظرته لي،وليس لي القدرة على مواجهته حاليا .

كنا نعد المائدة للطعام عندما اتصل شخص بجدي وأخبره أن والدي سقط مغشيا عليه في الشارع وأن رقم جدي هو أخر رقم اتصل به على موبايله وأن الإسعاف نقلته لمستشفى الهلال الأحمر برمسيس. هرعنا جميعا مفزوعين وأنا منهارة تماما وكذلك أمي إلا أنها حاولت أن تتماسك وعندما وصلنا للمستشفى كان الأوان قد فات فقد أخبرونا بوفاته ،صرخت وسقطت على الأرض مغشيا علي. أفقت فوجدت جدي بجواري يمسك بيدي وهو يدعو لي ويبكي وخيال يوسف خلفه يترائى لي من بعيد ولا أدري إن كان حقيقة أم خيالوأمي تبكي منهارة وهي تخشى أن تفقدني أيضا، تماسكت وبدأت أستعيد وعيي قليلا. ذهب يوسف ليقف على غسل والدي ليتم بشكل شرعي وحتى يدعو له وذهب أخوالي لإنهاء إجراءات الدفن،تم دفن والدي في مقابر جدي بالقاهرة لأن صلة والدي بأهله كانت مقطوعة منذ زمن ولانعرف أحدا منهم.

عدنا للبيت ظل يوسف يحدث أمي عن فوائد الصبر والرضا بقضاء الله وعن عدة الأرملة وأن من أهم شروطها عدم التزين او التعطر وألا تترك بيت زوجها إلا للضرورة، وماهي الأعمال التي يصل ثوابها

للميت ومن أهمها ولد صالح يدعو له وأكد أن الدعاء ليس كافيا إنما ضروري أن يكون أولاده صالحين أيضا،شعرت أن كلامه موجه لي شخصيا، لم أرغب في النظر إليه ولم أستطع تركه والذهاب لغرفتي ولا أعلم لذلك سببا، إنما بقيت حتى انصرف وبقي معنا جدي وخالتي.

برغم من إحتقاري لمايا وطريقة لبسها تفكيرها وتعاملها مع الأخرين إلا إني كنت أشفق عليها ففقدان الوالد مؤلم وألمه لايعرفه إلا من جربه وخاصة وأنها كانت مدللته فسيكون الفراق قاسيا على قلبها، وزاد إشفاقي عليها عندما وجدتها غائبة عن الوعي لا حول لها ولا قوة وعندما تعود لوعيها ستجد الحياة حولها قاسية ومعاملة الناس مختلفة وظروف معيشتها ستتغير حتما، أشفقت عليها كثيرا وودت لو ضممتها لصدري لأطمأنها وأخفف عنها آلامها.ماهذا فيم أفكر أستغفر الله ، سامحني يارب على أفكاري وأحمدك أنك لاتحاسبنا عليها وإلا لكنا هلكنا، وأعني على العفة يارب.. إنها أول صدمة في حياتها وأسأل الله أن تقويها ولا ترميها في طريق الضلال وأن يعصمها الله من كل خطأ، ويعصمني أيضا فيبدو أني بدأت أميل إليها.

مرت الأيام التالية علينا طويلة ثقيلة كئيبة، لكنها على كل حال مرت وكان علينا أن نواجه الواقع أن والدي ترك لنا شركة مقاولات ولكننا لانعرف عن إدارتها ولا عن مشروعاتها أي شئ. حاولت أمي أن تفهم كيف تعمل الشركة لكن كبار الموظفين وقفوا كعقبة في طريقها لينهبوا ما أرادوا دون محاسبة، ولأني كنت أقل من 21 عاما ومازلت أدرس بالجامعة الخاصة إدارة الأعمال في السنة الثانية فلم أكن أعرف كيف أجعل مصروفي يغطي إحتياجاتي. عرض الكثيرون على أمي مساعدتها أو مشاركتها لكن أمي لم توافق لعدم ثقتها بأحد إذ أصبحت أنا وهي ومالنا مطمع للجميع.ذات يوم طلبت أمي من يوسف مقابلتها عند جدي في وجودي ، ويبدو أن أمي وجدي كانا يدبران شيئا لا أعلمه، وجلست بعيدا عندما جاء يوسف حتى لاتلتقي أعيننا، وبعد الترحيب المعتاد قالت له أمي:

- اسمع يا يوسف إنت عارف غلاوتك عندي و أتمنى إني أكون غاليه عندك برضه

-دي مش محتاجه كلام ياعمتي حضرتك في مكانة المرحومه والدتي وكفايه حب أبويا الله يرحمه لك ده يخليني أحبك أكتر كمان ماما كانت بتقول عنك دايما إنك أختها

-يعني لو طلبت منك حاجه مش هترفضها؟؟

- على أد ما أقدر هاعمل اللي يرضيكي يا عمتي

- اسمعني كويس يا حبيبي وفكر كويس وبعدين رد عليه..أنا وبنتي بعد وفاة جوزي بقينا مطمع للكل سواء في الفلوس أو في أي حاجه تانيه كمان موت عمك المفاجئ خلاني أفكر إني ممكن أموت وأسيبها لوحدها وطبعا هي خبرتها في الدنيا قليله ومش هتعرف تتصرف لوحدها عشان كده فكرت –بعد ما استخرت ربنا- إنك تكون مدير للشركه بما إنك مهندس معماري يعني هتكون أكتر واحد فاهم في نظام الشغل وتعرف تديره صح، بس ليه شرطين الأول هتكون مدير بتاخد مرتب كل شهر لكن مش من حقك إنك تتصرف في أي

حاجه غير بعد إستشارتي وخلال فترة شغلك تدرب مايا في الشركه وتعرفها كل كبيرة وصغيرة عشان تتعلم –والشرط التاني ياعمتي؟؟

-إنك تتجوز مايا أنا مش ممكن هأمن عليها مع حد غيرك، لأني عارفه إنك هتحافظ عليها وإنك راجل وهتصونها وتصون مالها..زي ما قلتلك مش عايزه أسمع ردك دلوقتي خد وقتك ورد عليه

-وحضرتك سألتي مايا عن رأيها مش ممكن ترفض؟؟

-مايا زيك أول مره تسمع الكلام ده وبرضه هاديها فرصه تفكر فيه بعقلها مش بمشاعرها

لأول مره منذ أن قابلته ينظر إلي طويلا ، لكنه لم يتكلم إنما قام منصرفا وقال:

-ربنا يعمل اللي فيه الخير لنا جميعا هاستخير ربنا وأرد عليكي.

بعد أن خرج وأفقت من ذهولي قلت بحدة لأمي:

-إيه اللي عملتيه ده يا ماما كان كفايه يدير الشركه ومالوش لازمه موضوع الجواز أولا أنا لسه صغيرة ولسه بدري على ما أفكر في الجواز، كمان إنك تعرضيني عليه ده هيقلل مني قدامه وهيحسسه إني مرميه عليه وهيخليه يتكبر عليه وانا أصلا مش عايزه المعقد ده

-قلتي كل اللي عندك؟؟ انا عارفه يوسف مش هيفهمها كده أبدا وعمري ما أعمل حاجه تصغرك أبدا ويوسف مش معقد إنما متدين وبيخاف ربنا و كمان من دمك و ده اللي هيحافظ عليكي..فكري بعقل وبعدين خدي قرارك.

خرجت من بيت جدي بعد حديث عمتي وحالة من الذهول تنتابني، فقد فقدت عملي منذ أسبوع بسبب لحيتي وتديني وكادت الفلوس التي أنفق منها أن تنتهي، بكيت كثيرا وأنا ساجد بين يدي الله وطلبت منه أن يرزقني ويسترني . تذكرت أفضل روشتة للرزق وهي كثرة الإستغفار فاستغفرت كثيرا وتصدقت بنصف ما معي ، وإذا بعمتي تقدم لي ليس فقط عملا وراتبا لم أكن أتخيلهما يوما إنما أيضا زوجةتهفو نفسي إليها كما أنها في غاية الجمال ، حقا هي متهورة بعض الشيء بحكم تربيتها لكنها بدأت تتغير ويمكنها أن تصير أفضل.أنا لا أملك من حطام الدنيا شيئا سوى دعاء صادق من القلب فاستجاب الله لدعائي أسرع مما أتخيل . بمجرد دخولي بيتي سجدت شكرا لله ثم اغتسلت وصليت كثيرا واستخرت الله، ثم تساءلت بيني وبين نفسي أسترضى مايا بالزواج مني؟؟ ولم لا لقد حاولت أكثر من مرة التقرب مني، ألن يحول صدي لها بيني وبين موافقتها؟؟ لا أعتقد ولكن إن حاولت أن تتعالى علي بمالها أو جمالها سأتصدى لها، ولو أن قلبي يميل لها وكم تألمت عندما صددتها أخر مرة ولكن كان يجب أن أوقفها وأعصم نفسي حتى لاأنزلق معها وخاصة وأنها تعجبني كثيرا وأن عينيها فيهما سحر لايقاوم،أستغفر الله العظيم.سأتركها يومان لتفكر فقد ترفض أو تقبل عندها سأقرر ماذا سأفعل.

كدت أجن مما فعلته أمي لقد أكدت فكرته عني ، لابد أنه يظن أني فعلت ذلك لأحصل عليه بأي ثمن وبالطبع سيرفضني بشكل مهين كما فعل من قبل، لم فعلت ذلك بي يا أمي؟؟ لقد حقرتي من شأني دون أن تدري.ماذا سيحدث أسوأ مما حدث؟؟ بعد فقد أبي لم أعد أبالي بعد فقد أبي بأي شخص ولا بأي شيء يحدث، فليظن بي ما يشاء وليقل مايريد لا أهتم، بكيت وقلت (ليتك معي يا أبي فقد كنت سندي وأماني)

بعد 3 أيام مروا كأنهم الدهر كله جاء يوسف وطلب من جدي ووالدتي أن يتحدث معي بمفردنا على أن نكون على مرأى منهما،بمجرد أن جلس قلت له:

- قبل ماتقول أي حاجه أحب أقولك أني أول مره أسمع الكلام اللي ماما قالتهولك ده معاك يعني اتفاجئت زيي زيك

-ده معناه إنك مغصوبه على الجوازه ومش عايزاها؟؟

- ده معناه إن الحكايه جت مفاجأه ومحتاجه تفكير بعقل ومحتاجه أعرف هتتعامل معايا إزاي لو وافقت على الجواز

-هتعامل معاكي بما يرضي الله.

-يعني هتتجوز عليه 3؟؟

-هوده كل اللي تعرفيه عن الجواز في الإسلام؟؟

-ده كل اللي أعرفه عن تفكير المتدينين

-مش كلهم إسمحيلي أقولك إن أول حاجه مش هوافق تكون زوجتي مش محجبةوعلى الأقل بتصلي وده شرط أساسي، لها عليه إني أصرف عليها وألبي كل طلباتها في حدود إمكانياتي، أساعدها على بر أهلها، أعاملها كويس وأخاف عليها،بس فيه حاجة مهمة لازم تعرفيها قبل ماتقولي رأيك أنا غيور جدا

-هاسألك سؤال وتجاوبني بصراحة لو يوم اتنرفزت جامد ممكن تضربني؟؟

-عمرها ما حصلت معايا لأني ما باتعاملش مع بنات وما أعرفش ممكن توصليني لحد فين بس أوعدك إني مش هاضربك مهما يحصل لأني عمري ما شفت والدي ضرب والدتي الله يرحمهم بالعكس كان بيحبها ويحترمها وياخد برأيها

-إنت وافقت تتجوزني رغم إني مختلفة كتير عنك عشان الشركة ولا عشان خاطر ماما؟؟

- لا ده ولا ده

-أمال عشان إيه؟؟

سكت للحظات ثم قال:

-عندك أسئله تانيه ؟؟ لسه خايفه مني؟؟

-مش عارفه بس الغريب إن بابا الله يرحمه قبل وفاته بيوم كنا بنتكلم وجت سيرتك وقال عنك راجل يعتمد عليه مهندس وبتشتغل وشايل مسئولية نفسك مش مستني حد يساعدك افتكرت الكلام ده إمبارح وده طمنني

- بس ممكن اتجوز عليكي عادي لو زعلتينيابتسم لأول مره في وجهي وقال:

ونادى لأمي وجدي وقال: -أنا موافق يا عمتي

فقالت أمي:

-على بركة الله نعمل الخطوبه الخميس الجاي

-خليها كتب كتاب ياعمتي عشان مايا تاخد عليه وأقدر أتعامل معاها براحتي وكمان هاوضب شقتي وهاحتاج أخد رأيها فتقدر تخرج معايا براحتها.

-وليه توضب شقتك ما شقتي موجوده تعالوا عيشوا معايا

-معلش ياعمتي أنا أحب أعيش في شقتي على أد إمكانياتي

قالها بحسم فسكتت أمي للحظات وقال جدي:

- إبن يحيى وعنيد زيه

-من فضلك ياعمتي إشتري لمايا لبس محجبات واسع وطويل يعني فساتين أو جيبات وبلوزات بس تكون واسعه ولو هتلبس فستان في كتب الكتاب يكون مقفول كله وطرحه على راسها ومن غير ماكياج

نظرت إليه متعجبة وقلت معترضة :

- إنت هتتحكم فيه من أولها؟؟

-دي شروطي وإحنا لسه في البداية يا تقبليها يا ترفضيها لكن لو قبلتي مش هاسمح بأي تراجع عنها

قال كلماته بقوة وصرامة فشعرت بالخوف منه ، فقالت أمي لتلطف الجو:

-واحدة واحدة يا يويوبعد كتب الكتاب إبقى إتشرط براحتك

-طالما إتفقنا يبقى التنفيذ من دلوقتي أنا مش هاقبل إن الناس تتفرج على مراتي وأنا قاعد جنبها

فقال جدي:

-خلاص يامايا اللي يوسف يشوفه ويرضيه إعمليه وإعرفي من هنا ورايح إن رضا جوزك من رضا ربك عليكي، ميعادنا الخميس الجاي يا يوسف.

أنصرف وأنا مذهولة كيف وافقت على كل تلك الشروط؟؟ ومن هذا ليتحكم بي؟؟ ماذا فعلت بي أمي؟؟ ورغم من غضبي من طريقة كلامه وتحكماته إلا أن شيء بداخلي كان مطمئنا له. اليوم هو الأحد وكان علينا أن نستعد في الأيام الباقية، فنزلت أنا وأمي كل يوم لشراء ملابس جديدة لأني إكتشفت أن ملابسي كلها غير صالحة للحجاب. يوم الثلاثاء إتصل يوسف وطلب مني أنا وأمي وجدي أن ننتظره لأنه يريد أن يأخذ رأينا في شئ مهم، عندما جاء أخرج من جيبه علبة صغيرة ولما فتحها كان بها خاتم ماسي رقيق بمجرد أن رآه جدي بكى –لأول مره أراه يبكي- فتعجبت فقالت أمي من خلال دموعها أيضا:

-ده خاتم ماما الله يرحمها وكان من نصيب يحيى الله يرحمه

فقال يوسف:

-رفض يبيعه رغمظروفنا الصعبة وقال هو ذكرى غاليه من أمي ومش هافرط فيه مهما حصل وبعد وفاته فضلت أمي محافظه عليه وقالتلي عشان عروستك يا يوسف لو يعجبك يا مايا يبقى شبكتك

نظرت إليه بإعجاب شديد وإرتديته وكأنه مصنوع لأجلي فابتسمت وقلت: جميل جدا

إبتسم يوسف وأخبرنا أنه حجز قاعة بأحد المساجد لكتب الكتاب بعد صلاة المغرب يوم الخميس وأكد علي قبل إنصرافه قائلا:

-فستان مقفول وطرحه ومافيش ماكياج

- فيه أي أوامر تانيه؟

إبتسم وقال: -لأ

هي تظنني أريد أن أتحكم بها ولا تعلم أني أغار على هذا الجمال وأريد أن أصونه ليكون لي وحدي، كم أتمنى أن أضعها بقلبي لأحميها من الكون كله ولا يمس أحدا شعره منها بأي سوء. كم حلمت بقصة حب كما كانت بين أمي وأبي، كانت أمي تحكي لي عن طيبته وحنانه وحبه لها وكيف كانت تعشقه بل تفضله على نفسها ، فحلمت بقصة حب كتلك ولكن واقعي وفقري جعلاني أدرك أنني لن أجد فتاة أحبها وتحبني بسهولة، قابلت فتيات كثيرات لكني كنت أخاف الله فابتعد وأسأله أن يمن علي بالحب الحلال، حتى رأيت مايا فوقعت صريعا لعينيها من أول نظرة وكثيرا ما حاولت أن أقاومها وأقاوم نفسي لكني كلما قاومت كلما غرقت أكثر فأكثر في حبها ، حتى استجاب الله لرجائي أخيرا وجعلها من نصيبي في الحلال .لكن ترى هل تحبني حقا؟ أم أني كنت بالنسبة لها مجرد تحدي؟ هل تريدني أم أنها مجبرة على الزواج مني؟ سأغمرها بحبي حتى أجعلها تحبني كما أحبها.

كانت مشاعري يوم الخميس مزيج من الخوف والإضطراب والقلق من المصير المجهول والعالم الجديد الذي سأدخله، ولكن ما كان يطمأنني رأي والدي وجدي ووالدتي في يوسف وثقتهم فيه، فلابد أنهم يرون أنه يستحق تلك الثقة وعلي أن أتزوجه حتى ألبي لأمي رغبتها وألبي تلك الرغبة الدفينة بقلبي قلأقترب من يوسف فربما في قربه أجد حياة مختلفة.جاء خالي الكبيرلاصطحابي من البيت مع أمي وجدي ، وكان يوسف ينتظرنا في القاعة بمجرد نزولي من السيارة نظر إلي نظرة أربكتني وابتسم كأنه يقول أنه راض عن شكلي والتزامي بأوامره حيث كنت أرتدى فستان سواريه موف فاتح بأكمام طويلةوتطريز هادئ وأغطي شعري بطرحة موف غامق، ورغم أني لا أضع الماكياج لكن لون الطرحه كان كفيلا بإبراز جمالي.

تركني أدخل ممسكه بيد جدي ويوسف يسير بجوارنا، دخلنا القاعة وتوالى حضورأفراد العائلة والمعارف،بدأت إجراءات كتب الكتاب وكان جدي هو وكيلي ، فكرت كثيرا أن أتراجع ولكن شئ ما بداخلي كان منجذب تجاه يوسف بقوة وتذكرت كلمات والدي ونزلت الدموع رغما عني من عيناي فكم كنت أتمنى أن يكون بجواري اليوم، كان يحلم دائما بيوم زواجي. تمت الإجراءات وصرت زوجته ترى ماذا تخبئ لي الأيام معه؟؟هل ستكون سعادتي بجواره أم سيكون سببا لشقائي؟ لا أعلم ولكني خائفة جدا.

توافد علينا المهنئون وأنا شاردة حتى اقترب يوسف وأمسك بيدي وأنا أرتجف وهمس إلي قائلا:

-مبروك يا عروسه

نظرت إليه هل يسخر مني ؟؟أم هو طامع في؟؟ لا أعلم وشعرت بخوف شديد يجتاحني لكنه أمسك بيدي برقة وحنان فشعرت بالإطمئنان قليلا ويدي في يده. عند خروجنا من القاعة إستأذن أمي أن يصطحبني للعشاء بمفردنا فأذنت له، ركبت معه سيارته الصغيرة القديمة وأنا أتعجب من حالها فقال مبتسما:

-إسمحيلي أعرفك بعزيزه دي ضرتك ياعزيزه معلش سامحيني بس إنتي عارفه غلاوتك عندي ياقمر يالا دوري وماتفضحيناش

كان يكلم السيارة وأنا أنظر إليه صامتة، كانت السعادة تبدو واضحة على وجهه أهو سعيد بزواجه مني أم أنه سعيد لأنه سيقهرني ويتسلط علي؟؟ أم أنه سعيد لأنه سيسطر علي وعلى الشركة؟؟

أفقت من شرودي على صوته وهو يقول:

- مالك سرحانه في إيه؟؟

-في حالي اللي إتشقلب في كام يوم وأخرواحد كنت أتخيل إني أتجوزه بقى جوزي

-ممكن أعرف ليه أخر واحد؟؟ عشان الفرق المالي بيننا؟؟

- لأ خالص إنما عشان إختلاف الشخصيات و الأفكار وطريقة التربيه وكمان من تعاملك معايا كنت شايفاك..

-شايفاني إيه؟؟قولي عادي..متوحش مش كده؟؟

- عرفت منين؟؟

إبتسم وقال:- العصفوره قالتلي

- لابجد وحياتي عندك لاتقول

-طالما حلفتيني بالغالية هاقول..عبير بنت عمي محسن لاحظت مطاردتك ليه وغيرة البنات إشتغلت فحبت تكسبني وتوقع بيننا خاصة لما عرفت إننا إتخطبنا كلمتني في الموبايل وقالت على كل الكلام اللي كنتي بتقوليه عليه متوحش وهمجي ومابعرفش يتكلم وإرهابي كمان

-عشان كده إتجوزتني؟؟ عشان تذلني وتنتقم لكرامتك؟؟

توقف بالسيارة وظهر الغضب على وجهه وقال بحدة :

-أنا مش إنسان هايف أتجوز واحده عشان أهينها أو أذلها،أنا لما أقرر أتجوز يبقى عشان يكون لي بيت وأسره وهاحترم زوجتي وأصونها.

فقلت بدلال:

- بس كده مافيش أسباب تانية؟؟

هدأت حدته وعادت الابتسامة لوجهه وقال:

-فيه أسباب كتير لكن كل حاجه بوقتها.

تناولنا العشاء في مطعم على النيل وبعد العشاء خرجنا إلى شرفة المطعم نتأمل ضوء القمر وهو يرسل أشعته الفضية لتتماوج مع موجات النيل الهادئة التي تحمل قصص العاشقين منذ ألاف السنين وتحفظ أسرارهم، المشهد كان يوحي بالكثير من الكلمات لكني اكتفيت بالنظر في عينيه عن قرب فقال لي:

- لسه خايفه مني؟؟

-مش فاهماك وده اللي مخوفني مش عارفه هتتعامل معايا إزاي ومش فاهمه بتحبني ولا بتصوني بس عشان خاطر عمتك ولا عشان الشركة فرصه ماتتعوضش...

كتم غضبه حتى لا يفسد الليلة وقال:

- يعني لو قلتلك السبب هتصدقيني؟؟

-قول وهنشوف

-قبل ما أشوفك خالص طبعا قابلت بنات كتير سواء في العيله او الجيران أو الجامعه والشغل، فيه منهم حلوين وفيه منهم لفتوا نظري لكن كنت باقاوم نفسي ورغبتي عشان ده حرام ما ينفعش تكون لي علاقة غير

بمراتي وبس والجواز بالنسبه لي صعب جدا بسبب ظروفي الماليه البسيطه اللي مافيش بنت هترضى بيها وإن رضيت أهلها هيرفضوا، وتحديدا قبل ما اشوفك بأسبوع عميله عرضت عليه نفسها بالحرام ولما لقيتني رفضت بعنف طلبت مني نتجوز حتى ولو عرفي، بصراحه فرصه ماتضيعش جواز بالحلال من غير مصاريف لأنها غنيه ومطلقه ومحتاجه زوج، فضلت أصلي وأدعي ربنا ينور بصيرتي لحد ماعرفت إنها عملت ده مع أكتر من مهندس ومحاسب من زمايلنا فبعدت عنها فاتهمتني إني باتحرش بيها ومديري أصلا ماكنش بيحبني عشان ملتحي وشايفني إرهابي قام اتلكك وطردني من الشغل، بقيت مش عارف أعمل إيه وهاعيش إزاي ودعيت ربنا كتير أوي وفوجئت بيكي وبمحاولتك تتقربي مني وكأن ربنا بيحطني في إختبار أقوى وبيشوف قوة إحتمالي، أنا باقاوم بشده وانتي بتضغطي عليه جامد ويوم ماجيتي الشقه كانت خلاص مقاومتي بدأت تضعف، أنا بشر ومش على طول قوي، خفت من نفسي على نفسي وعليكي لأني كان ممكن أضيع وأضيعك عشان كده كنت باصرخ فيكي عشان أفوق نفسي ،كنت في صراع رهيب بين رغبتي وبين تديني وخوفي من ربنا، والحمد لله ربنا ثبتني وفوجئت بعدها بطلب عمتي حسيت ان ربنا كافئني على صبري وعوضني عن اللي رفضته في الحرام بيه في الحلال..مش عارف فاهماني ولا لأ بس ده إحساسي بمنتهى الصراحه.

-يعني كنت معجب بيه بس خايف تعمل حاجه غلط معايا؟؟ اد كده ممكن تضحي بحاجه عايزها عشان خايف من ربنا؟؟ أنا أول مره أقابل حد كده

-ليه هو إنتي كنتي بتعملي حاجات حرام؟؟

-لأ طبعا صحيح لبسي كان غلط بس بابا عمره ما قالي ده غلط وده صح، ماما بس اللي كانت دايما تتخانق معايا بس دايما تقولي لو عملتي حاجه غلط هاغضب عليكي ولا أعرفك وأنا ما أقدرش على زعل ماما عشان كده عمري ما عملت غلط

-ممكن اعرف ليه كنتي بتلاحقيني؟؟

-عندي سببين هاقولك واحد بس كنت متراهنه مع ولاد وبنات العيله انك تقع في غرامي بعد نص ساعه بس وطبعا خسرت وكلهم اتريقوا عليه وقالولي إنتي مش أد مولانا وأخدتها تحدي.

-والسبب التاني؟؟

ابتسمت وغمزت له بعيني وقلت وأنا أقلده:

- ده سر مش هتعرفه غير في وقته المناسب.

ضحكنا معا وشعرت أن جزء كبير من خوفي قد تبدد .

مضت بنا الأيام وكل يوم نزداد إقترابا وفهما لبعضنا ويكبر الحب ويتوغل في القلبين، وكانت تلك سنتي الأخيرة في الدراسة فشجعني يوسف على الإنتهاء منها لكنه وضع لي حدود صارمة مع زملائي لا يسمح لي بتجاوزها ، وكان ذلك صعب علي جدا فكنت أحيانا التزم بأوامره وكثيرا ما أمل و أتمرد و أعود

للضحك مع زملائي الشباب والحديث معهم فتدب المشاجرات بيني وبين يوسف الغيور. وقبل شهر من امتحاني النهائي طلب مني يوسف أن أذهب معه لشقته لنختار الألوان النهائية للغرف،فذهبت وبينما كنا نتحدث جائني رنين رسالة على الواتس أب فلم أفتحها ولم يهتم يوسف حتى توالت الرسائل فتركت الموبايل على المنضدة ودخلت مع يوسف أختار الألوان المناسبة للمطبخ والحمام من الكتالوج الذي أحضره ، ثم إستأذنته في دخول الحمام فتركني وجلس في الصالة. لفت إنتباهه رسائل الواتس المتتالية ففتح الموبايل بدافع الفضول فوجدني مشتركة في جروب لشباب وبنات من الكلية يتساءلون لماذا أناغائبة فتقول احدى الزميلات عندها حظر تجول ويرد أخر مولانا معتقلها وهكذا توالت التعليقات الساخرة من الجميع، اشتعل غضبا (كيف تسمح لنفسها بالإنضمام لهذا الجروب رغم انه حذرها من محادثة الشباب؟؟ وكيف تسمح لهم بالسخرية منه؟؟ وهل تشاركهم بالسخرية منه؟؟ ياله من مغفل كبير لقد ظن أن بإمكانها أن تتغير وتنسى ما اعتادت عليه خلال عدة شهور وتترك كل هذه الحياة بصخبها من أجله؟؟ لا ليس من أجله ليتها تفهم بل من أجلها هيلقد أراد تغييرها من أجلها أولا) شعر بغصة في قلبه لقد ظن أنها تحبه كما يحبها،نظراتها ولمسات يدها وكلماتها كلها تحمل معاني الحب.كم هي مخادعة وممثلة بارعة أتقنت دورها حتى صدقها بينما هي تسخر منه لقد كسبت رهانها. خرجت من الحمام فوجدته جالسا ووجهه يكسوه الحزن فقلت:

- مالك يايوسف حصل حاجه؟؟

-ولا حاجه بس شفت جروب الواتس بتاع أصحابك وهم بيتريقوا على مولانا التحفه اللي وقعتيه في غرامك وكسبتي الرهان.

-يوسف إنت إتجننت بتقول إيه؟؟ وإزاي تسمح لنفسك إنك تتجسس عليه؟؟

-أتجسس؟؟ أنا جوزك ومن حقي أعرف بتكلمي مين وبتعملي إيه من ورايا،أتاري الهانم عاملاني تريقة أصحابها اللطاف الظراف.

-بس بقى كفاية إنت خنقتني،إلبسي ده وماتلبسيش ده، ماتكلميش شباب، بلاش صاحبتك دي مش عاجباني ، ماتخرجيش غير معايا،ماتضحكيش بصوت عالي ، بلاش الألوان الفاقعه دي وفي الأخر بتتجسس عليه كمان؟؟ إنت فاكرني جاريه اشتريتها من سوق العبيد؟؟ أنا حره وزهقت من كل تحكماتك فيه.

-لو زهقتي وأنا مش عاجبك بنظامي ده تقدري تطلبي الطلاق وأنا مش هارفض لكن مش هاوافق على الوضع ده أبدا، دي حياتي عايزة تكملي معايا بنظامي أهلا وسهلا عايزه تطلقي وتتحرري من العبوديه براحتك، بس لا هاسمحلك ولا هاسمح للهلافيت بتوعك إن حد منهم يتريق عليه أنا مهندس يعني معايا شهاده فلوس أهاليهم ماتعرفش تشتريها وعندي أمانه وأخلاق بينضرب بيهم المثل وراجل مش زيهم بامد إيدي لبابي أخر الشهر يديني المصروف. إتفضلي أوصلك بيتكم.

-لأ شكرا عارفه سكتي

تركته وانصرفت فأمسكني من ذراعي بقوة ونظر إلي نظرة أرعبتها وقال:

-طول ما أنتي مراتي تبقي مسئوله مني إنت متجوزه راجل فاهمه يعني إيه راجل؟؟

لم أجب وأطعته حتى أوصلني البيت ولم يدخل بل وانقطع عن زيارتنا أو حتى الحديث معي، كلمته عمته أكثر من مره لمحاولة الإصلاح بينهما لكنه رفض العودة لقد جرحت قلبه، وحاول جده أكثر من مرة أن يقنعه أني طائشة وأحتاج لصبر لكن كرامته كانت تأبى عليه أن يعود إلي وقال لهما سأتركها حتى تنتهي من إمتحاناتها ثم نقرر بعدها ماذا سنفعل.

مضت الأيام وأنا أتلهف كل يوم على إتصال منه لكنه لم يفعل فكرت كثيرا في الإتصال به ولكن كبريائي كان يأبى ذلك ، وكلام صديقاتي عن أنه يحاول كسري ويسعى للسيطرة علي ولابد أن يكون لي شخصية قوية أمامه ، كذلك سخرية البعض منه، كل هذا جعلني أتراجع، لكن كان هناك قلب متمرد في الضلوع يهفو إليه ويحن لسماع صوته، حاولت أن أنشغل عنه بمذاكرتي فكنت أفلح أحيانا وأفشل كثيرا.

عندما جاء موعد الإمتحانات كنت أتمنى أن أجده ينتظرني كما عودني لكني لم أجده، يبدو أنه اعتاد غيابي وتغلب على مشاعره تجاهي لكني لم استطع التغلب على طوفان الحنين الذي يجتاح قلبي ولا على جيش الذكريات الذي يداهمني باستمرار فيدك حصوني ويدمر كل محاولاتي للنسيان.

مضت الأيام وأنا أشعر بالخوف وأتساءل هل سأفقده؟ فجزء مني سعيد بحريته وجزء أخر يحلم بالعودة لما كنا عليه، جزء مني يحن إليه وجزء أخر فرح لأنه سيتخلص من تحكماته وسأعود لحريتي، لكن هل أستطيع أن أعود كما كنت؟؟ بتلك الملابس القصيرة الضيقه و المساحيق والشعر المصبوغ بالألوان الملفتة للنظر؟؟ كنت حائرة بين ما أريده وما أنا عليه وبين مايريده يوسف، صراع قوي يمزق نفسي ولا أحد يساندني أو يدلني على الطريق القويم، صراع قوي أخوضه وعلي وحدي أن أحدد الطريق الذي أريد أن أسير فيه لباقي عمري.

إنتهت الإمتحانات وكان كل زملاؤها قد قرروا الخروج بعد الإمتحان الأخيروعندما ذهبت لأخرج معهم قال لي أحد زملائي:

- هتخرجي فين بالخيمه اللي انتي لابساها دي ؟؟هتفضحينا

فضحكوا جميعا وقالت ثانية:

-لبسك ده يناسب الخروج مع مولانا مش معانا إحنا هنتغدى ونتفسح ونسهر في ديسكو

فقال أخر:

-إنتي أخرك تروحي تصلي العشا وتدعيلنا يا حاجه

ضحكوا جميعا وتركوني وحدي أبكي، فأقبلت علي زميلة محجبة من الكلية لاأعرفها فقالت:

-ماتزعليش دول هايفين ومش أصحاب حقيقيين فين خطيبك اللي كان بيوصلك؟؟ تعرفي الحب كان باين في عينيه جدا إوعي تكوني زعلتيه عشانهم؟؟دول مايستاهلوش إجري صالحيه الحب والرجوله بجد عملات نادرة في زماننا.

شكرتها ومسحت دموعي وإتصلت بأمي أخبرها أني سأزور جدها قبل عودتها للبيت .

ذهبت لجدي وكانت الساعة تقارب الخامسة فوجدته يصنع كوبا من الشاي فصنع لي كوبا معي واصطحبني للشرفة حيث كان يجلس و شغل جهاز كاسيت قديم لتشدو أم كلثوم وتقول (كلموني تاني عنك فكروني صحوا نار الشوق في قلبي وفي عيوني رجعولي الماضي بنعيمه وغلاوته وبحلاوته وبعذابه وبقساوته وافتكرت فرحت وياك أد إيه وإفتكرت كمان ياروحي بعدنا ليه) أفقت من هيامي مع صوتها الشجي المعبر على كلمات جدي الذي قال:

- فكروني هو أنا عمري نسيتها؟؟

-هي مين ياجدي؟؟

-حبيبة عمري جدتك

-كنت بتحبها؟؟

-أنا إتجوزتها وسنها 16 سنه كان أبوها صاحب أبويا وكنا موعودين لبعض زي عادات أهل زمان، مش عارف قبل الجواز كنت بحبها ولا لأ لكن بعد الجواز والعشرة والسنين الطويله إتأكدت إني مش بس بحبها لأ باموت فيه، كانت بتحبني من قبل الجواز وفرحت أوي بجوازنا وانا كنت مغرور بنفسي وبتعالى عليها- شاب وطايش لسه- وهي كانت قايده صوابعها العشرة شمع عشان ترضيني وأنا مش بارضى وخلفنا أولادنا وشالت الحمل كله لوحدها لأني كنت شايل محلات التجارة بتاعة والدي وبتشوفني يادوب بالليل وأنا جاي تعبان وعايز أنام وهي بتستنى كلمة حب مني، لحد يوم تعبت جامد وحرارتها إرتفعت عن 40 ومافيش دوا جاب نتيجه ، يومها حسيت بقيمتها وقيمة كل اللي بتعمله عشاني، رعايتها لأولادي وبيتي، حبها ليه ومحاولاتها دايما لإرضائي، افتقدت صوتها ،بسمتها في وشي، حتى نظراتها. فضلت تعبانه وغايبه عن الدنيا 5 أيام مروا عليه 5 سنين والدكاترة قالوا خلاص هتموت ساعتها إنهرت، ركعت على ركبتي جنب سريرها وفضلت أبوس إيدها وأقولها (ماتسيبينيش أنا بحبك ومش هاقدر أعيش من غيرك ياريتك سامعاني ،ياريت الزمن يرجع عشان أعوضك اللي فات) ، فضلت أبكي لحد مافاقت وقالت بصوت ضعيف:

-أنا كمان بحبك .....

بقيت طاير من الفرحه الحب رجعها ليه الحمد لله،عيطت وسجدت شكرا لله ومن ساعتها كل يوم اقعد انا وهي هنا نشرب الشاي ونسمع الست وأقولها أجمل كلام الحب، ولما يحيى خالف أوامري وإتجوز اللي بيحبها رغم إرادتي كانت هي ماتت بقت تجيلي في الحلم زعلانه مني لحد مايحيى راح ولقيت مراته مخلصه لذكراه فحبيتها ورضيت عنها واتحول كل حبي ليحيى ليوسف اللي سماه على اسمي، يابنتي الحب الحقيقي مايتعوضش وإن ضاع بنندم عليه العمر كله.

سرحت في كلمات جدي وأم كلثوم تقول(فكروني إزاي هو أنا نسيتك إنت أقرب مني ليه يا هنايا حتى وإنت بعيد عليه أو معايا تنتهي الأيام وتطوي العمر بيننا وانت حبك للأبد مالوش نهايه) لم أستطع التحكم في دموعي وحمدت الله أن جدي قام ليرد على التليفون، مسحت دموعي وقررت أن أنصرف، نظرت في

الساعه لقد تجاوزت السادسة والنصف . قررت أن أذهب لشقته بالتأكيدهو ليس هناك فهو لايعود قبل التاسعة،إني أشتاق لرائحته ولذكرياتي معه هناك، فهناك أول مرة اعترف لي بحبهوقبل يدي، وهناك علمني كيف أصنع القهوة ونحن نضحك في المطبخ، وهناك رتبت دولاب ملابسه وتركت له وردة بين ملابسه.

أشتاق له ولذكرياتي معه ،سألقي نظرة سريعة وأعود، سأتحسس ملابسه وأشم عطره فيها ، سأرتشف كوبا من القهوة لعلي أتلمس مكان شفاهه حين لامست الكوب. فتحت الباب بالمفتاح الذي نسيه معي ، كانت الشقة غارقة في الظلام، أضأت النور ورحت أتأمل في جنبات الشقة أستعيد الذكريات الجميلةلعلها تطفئ نيران الشوق، دخلت غرفته رحت أتحسس ملابسه وأضمها لقلبي وأقبلها وأشم رائحته فيها وفجأة وجدته يقف أمامي فشعرت بفزع وارتباك في آن واحد، وقفنا للحظات كلانا يتأمل الأخر في شوق وحنين وتعجب حتى تمالكت نفسي ورميت ملابسه وقلت:

-أنا جيت النهارده عشان نصفي الموقف اللي بيننا ممكن أعرف إنقطعت عني ليه؟؟

-عشان أديكي فرصة تفكري بهدوء ومن غير تأثير وتقرري إنتي عايزه إيه

-وإنت عايز إيه ولا إنت مجرد ألله هتنفذ رغباتي وبس من غير مشاعر؟؟

استفزته كلماتي فنظر إلي غاضبا وقال:

- إنتي مافيش حاجه ترضيكي أبدا؟؟

-كنت فاكراك بتحبني وهتحارب الدنيا عشاني مش هتسيبني وتمشي

-كان عندي إستعداد أحارب الدنيا لو كنتي بتحبيني لكني إتفاجئت إنك حاسه إني عايز أسيطر عليكي وإنك جارية بتطيع أوامر سيدها،مش حبيبه بترضي حبيبها،أحارب عشان واحده ما بتحبنيش؟؟ وأحارب مين؟؟

-تحارب أفكاري العبيطه ،تحارب كل اللي بيحرضوني عليك ، تحاربني أيوه وتحطني جوه قلبك.

-عارفه اللي بيحرضوكي حاولوا ينقلوا لي أخبارك عشان يولعوا الدنيا وأنا صديتهم جامد.

-عموما ده مش موضوعنا المهم عايزة أعرف قرارك إيه؟؟

-القرار قرارك إنتي عايزة تكملي ولا لأ؟؟

-ولو قلت لأ هتسيب الشركه وتسيب الكل ياكل فلوسنا؟

-الشغل مالوش علاقه بالمشاعر

-يعني هتقدر تكمل الشغل واحنا منفصلين؟

-شغلي أصلا مكانه مش المكتب يعني مش هتشوفيني غير مره في الشهر، أفهم من كده إنك قررتي ننفصل؟

-إنت شايف إيه؟؟

-مابقيتش أشوف عينيه كدبت عليه مرهوماعدتش باصدقها ما باصدقش غير كلام العقل وبس

-وياترى عقلك بيقولك إيه؟

-بيقولي إنك زهقتي ومش قادره تكملي ومش شايفاني جدير بيكي

إقتربت منه وقلت بهمس:

-طب وقلبك؟؟

نظر إلي لعله يروي شوق عينيه العطشى لرؤيتي وقال:

- قلبي بيتوهم بسرعه ومش عايز أمشي وراه تاني كفايه انجرحت مره بسببه.

- مش يمكن لو تصدقه المره دي ماتخسرش؟

-خايف أمشي وراه تاني أخسر نفسي

-ولو قلت لك أنا بحبك يايوسف وما أقدرش أستغنى عنك هتصدقني؟

أمسك يدها وقبلها برقة وقال:

-هصدقك لأني بحبك ولأنك وحشتيني أوي أوي كنت هاتجنن في بعدك فكرت كتير أجيلك وأقولك مش قادر على بعدك بس خفت ترجعي شفقه مش حب، وأنا عايز قلبك وبس.

-ياريتك جيت ورحمت نفسك ورحمتني من عذاب البعد والإنتظار

-أنا كنت مراهن نفسي عليكي وإنك هتيجي

-وكسبت الرهان وكسبت قلبي العمر كله.

-إحنا لازم نتجوز بسرعه كفاية كده ولا لسه محتاجه وقت؟؟

-أنا محتاجه تبقى جنبي وتطول بالك عليه وتاخدني واحده واحده

-حاضر بس ماتسيبينيش تاني

-ومين يقدر يسيب قلبه وروحه؟؟

تم الزواج وعاشا معا في حياة كلها حب وتفاهم ، وأحيانا كانت تحدث بها بعض المشاكل لكن سرعان ما كانا يتجاوزاها ، وكلما باعدت بينهما ظروف الحياه وقسوة الواقع ، كانت تدعوه لكوب شاي مع صوت أم كلثوم وهي تشدو فكروني وهي تقول: دي سر سعادتي

مرت بهما الأيام في سعاده واتفقا على أن يؤجلا الإنجاب لمدة عامين حتى تقف الشركة مرة أخرى وتستطيع مايا ووالدتها معرفة كل أسرارها. انهمكا معا في العمل وكان يوسف كثير الأسفار لمتابعة تنفيذ المشروعات بنفسه وتسليمها في الوقت المحدد ، كان لذلك البعد تأثير سلبي على مايا التي مازالت ترى نفسها جميلة وصغيرة ومرغوبة، فزميلاتها لم يتزوجن بعد ويستمتعن بحيواتهن ويسافرن ويسهرن ويخرجن بلا قيود كتلك التي يفرضها يوسف عليها. صارت تشعر بالضجر حينا وتكاد تثور عليه لكن عندما يعود ويغمرها بحبه وبشوقه ولهفته تنسى كل شيء ولا تتذكر سوى أنها تحبه.

جاء إلى الشركه محاسب جديد في بداية الثلاثينيات من العمر، صاحب خبرة في العمل والحياة، وسيم بجسده الرياضي وبشرته الخمرية وعيونه العسلية وابتسامته الساحرة، أما أناقته ورائحة عطره فكانت محل حديث الشركة كلها، بالطبع لفت انتباهها من أول لحظة وقارنت بينه وبين يوسف العادي في كل شيء فلم تكن المقارنة في صالح يوسف أبدا بل بالعكس أظهرته شديد التواضع بجوارفادي، قارنت مايا بين الشكلين لكنها لم تقارن بين الروحين ولا القلبين بالطبع. وضعت مايا خطة محكمة للإيقاع بفادي على سبيل التسلية ليس أكثر-كما قالت لنفسها- وهي لا تعرف أنه وضع لها خطة ليوقعها في حبائله هو الأخر.

صار كل منهما يتقرب من الأخر ويلتقط الطعم الذي يرميه الأخر ،فهي مبهورة بشكله وأناقته ورقته في الكلام وخفة ظله، وهو مبهور بالمال الذي تملكه تلك البلهاء ويرى أنه أحق به منها. صارت تتشاجر مع يوسف كلما جاء لأي سبب ومهما حاول إرضائها لا ترضى حتى كان الصدام الكبير عندما طلب منها أن تنجب طفلا ورفضت فسألها

-ليه بترفضي احنا اتفقنا على سنتين وعدى علينا حوالي 3 سنين مش كفايه عشان تتأكدي من حبي وصدق مشاعري؟

-أنا لسه صغيره وأحتاج أني أتمتع بحياتي اللي اتحرمت من متعتها بسبب الجواز وإنشغالي بالشركه فنسيت نفسي وشبابي

-أفهم من كده أنك مش مستمتعه بحياتك معايا؟

-أي حياه؟ أنت بتقضي معظم وقتك مسافر ولما بتيجي يومين بتكون تعبان ومحتاج ترتاح وأنا مستنياك عشان تعوضني غيابك وأخرج وأتفسح بدل السجن اللي حابسني فيه وكمية الممنوعات الفظيعه اللي محاوطني بيها

-واضح إنك مش راضيه عن حياتك معايا واللي اتفقنا عليه زمان ورضيتي بيه بقى دلوقتي بيضايقك ويخنقك

-أنا عايزه أعيشسني واتبسط مش أشيل هم بيت وشغل وكمان عيال

-يعني أنا بقيت بالنسبه لك هم؟

سكتت ولم تجب فقال:

-أنا هاسافر لمدة 3 أيام ولما أرجع عايز أعرف قرارك عايزه تكملي معايا بنفس طريقتي اللي اتفقنا عليها ونخلف طفل يملا حياتنا ولا عايزه تعيشي حياتك لوحدك بطريقتك؟

سافر ولم أهرع لمصالحته كما اعتدت بل ولم أحدثه نهائيا طوال الثلاث أيام فقد اكتشفت في الفترة الأخيرة أن وجوده كان مرهقا لأعصابي فقد كنت أتصنع السعادة وأنا لا أشعر بها إلا في قربي من فادي أما يوسف فلم يكن سوى حب مراهقة و أمام أول رجل حقيقي انهار تماما. كان جدي قد توفي منذ عام ولم يعد لي صديق ينصحني أما أمي فكانت دائما في صف يوسف حتى لو كان مخطئا لذلك فلن تفهمني أبدا . قررت أن اتخذ قراري بنفسي وأن أنفصل عن يوسف وأن أعيش حياتي كما أريد، بالطبع كان قراري صادما لأمي التي تشاجرت معي وهددتني بالمقاطعة إن أنا نفذت مافي رأسي ، كانت تعلم أن السبب هو ظهور فادي فكانت تسميه الثعبان الأنيق وتحذرني منه دائما ، وهذا ليس بغريب عليها فهي لا ترى في الكون من يماثل يوسف لا في عقله ولا أخلاقه ولا أمانته. لم تردعني تهديداتها ولا خصامها عما أريد وبمجرد عودة يوسف فاجأته بطلب الطلاق، ويبدو أنه كان متوقعا لطلبي فقال:

-أنا مهما كنت بحبك ما أقدرش أغصبك على العيشه معايا لكن هاييجي يوم وتفتكري إن محدش في الدنيا دي هيحبك أدي ولا هيعمل عشانك زيي، وللأسف ماتستحقيش الحب ده.

-يوسف زي ما اتفقنا الشغل مالوش علاقه بالمشاعر

-الكلام ده كان زمان لما كنتي محتاجه لي لكن النهارده عرفتي أسرار الشغل وتقدري تستغني عني في شغلك زي ما استغنيتي عني في حياتك أنا كنت مجرد محطه في حياتك توصلك لمحطه تانيه ودوري خلاص انتهى من حياتك كلها وهامشي ومش عايز أشوفك تاني ولا حتى أسمع عنك أي حاجه، انتي أكبر غلطة في حياتي.

تم الطلاق بهدوء وترك يوسف كل شيء فعلا وسافر بمجرد أن جاءته فرصة للعمل بالخارج، ليس لأنه محتاج للعمل ولكن ليهرب من أوهام الحب التي جرحت قلبه ومزقته لأشلاء. رغم سعادتها بالحصول على الطلاق وإنطلاقها نحو الحرية إلا أنها شعرت بغصة في قلبها فقد قضت مع يوسف نحو أربع سنوات كانت بهم لحظات جميلة ظنتها هي الأجمل في حياتها، وتساءلت ترى هل سيغفر لها يوما؟ هل سيستطيع نسيانها؟ هل سيجد من تعوضه؟ هل سيحتمل بعدها عنه؟ أفاقت على صوت فادي يقول لها بمرح:

-مبروك الحريه، التلات شهور الجايين هيمروا عليه كأنهم تلات سنين وبعدها هنكون سوا العمر كله

-ومين قالك إني اتطلقت عشانك؟

-قلبي ونظرات عينيك وضحكتك وفرحتك وانت معايا كل دول قالوا لي إنك بتحبيني زي مابحبك، إحنا اتنين زي بعض بنحب الحياه وعايزين نستمتع بكل لحظه فيها فبلاش نضيع وقتنا في لف ودوران خلينا نخطط لحياتنا الجايه بسرعه

-وياترى هتقدم لي إيه يخليك مميز عن غيرك؟

-هاخليكي تعيشي بجد

تزوجنا بعد انتهاء العدة ضد إرادة أمي وسافرنا للخارج في شهر عسل واستمتعنا بكل لحظة في حياتنا وخلعت حجابي وعدت لملابسي المتحررة ورقصت وسبحت في البحر بالمايوه ورغم كل هذا كنت أشعر أن هناك ما ينقصني ولكني لا أعلم ماهو. عدنا للقاهرة فوجدت أمي صممت على الحصول على نصيبها من الشركة وأنها لن تبقى شريكتي ولن تتعامل مع فادي أبدا. أزعجني موقف أمي كثيرا فقد كنت المفضلة لديها عن الكون كله والأن تفعل هذا من أجل يوسف؟ لم أبالي بموقفها وشجعني على ذلك فادي الذي قال لي:

-ولايهمك يا حبيبتي زعلانه على ابن اخوها يومين وهتروق، انا ممكن أدخل شريك بدالها بس مافيش معايا غير نص المبلغ

-مش مهم أنا أكمل باقي المبلغ وابقى سدده براحتك ما احنا واحد

قبلني بشغف وقال:

-بحبك مووت

لم يسيطر فادي على نصيبه فقط إنما سيطر على الشركه كلها وبالتدريج نزع مني كل مسئولياتي، وتحول الشاب اللطيف العاشق الولهان خيف الظل الأنيق، لشخص بغيض يعايرني دائما أني تركت زوجي من أجله وأنه لايثق في أن أفعلها معه، صار شخصا أخر لا أعرفه شديد القسوة في كلامه وأفعاله كل ما يهمه المال أما أنا فلم يعد يبالي بي.

لم نعد تخرج ولا نلهو وصرت أراه قليلا أما كلمات الحب فقد جفت على لسانه وفي قلبه ، فكرت في طلب الطلاق لكني اكتشفت حملي في توأم فسكت وتحملت نتيجة اختياري وأدركت أن كل ما يحدث لي هو ذنب يوسف الذي أحبني من كل قلبه وغدرت به من أجل رجل لا يعرف الحب. وصرت كلما استمعت لأغنية فكروني أبكي فبعد أن كانت سر سعادتي التي لم أصنها يوما صارت تذكرني بأنانيتي وقصر نظري وبأطهر قلب عرفته يوما. ترى أنسيني؟ أمازال يتذكرني كلما سمع أغنية فكروني؟ أفقت على صوت الست وهي تشدو(فكروني إزاي هو أنا نسيتك؟؟)

تمت

ومرت الأيام

أجلس في الطائرة أنظر من النافذة بلهفة على أرض مصر،فبعد خمسة عشر عاما من الغربة والهرب من قصة حب لم تكتمل قررت العودة لمصر.حققت في غربتي نجاح علمي ومادي وشغلت عدة مناصب في شركات كبيرة ،لكني لم أنجح على المستوى العاطفي ،فمازال قلبي مغلقا على حب عمري الذي ضاع بسبب تعنت الأهالي واختلافاتهم. كنت أنا وعمر كروميو وجوليت ،جاران عاشقان في السر لكن عيون العاشقين تفضح مكنون القلوب وخاصة لدي جيران متلصصين وأهل متربصين ،فأدرك كل من حولنا أننا غارقين في بحر الحب،فحاربوا ذلك الحب بكل قواهم سواء كانوا من الأهل او من الحاسدين لذلك الحب، فجأة اصطدمنا بصخور الواقع التي حطمت شراع قلبينا فقد تقدم لخطبتي عريس مثالي من وجهة نظر أهلي فرفضته فثار أخي وقال:

-يعني اللي بيتقال عنكم صحيح؟؟أنت وعمر بتحبوا بعض؟؟

وإنهال علي صفعا وركلا وكأني ارتكبت كبيرة من الكبائر عندما أطلقت لقلبي العنان ليحب كباقي قلوب البشر؟؟ وكأن الحب جريمة يجب أن يُعاقب مرتكبوها؟؟ ألم تحب يا أخي أكثر من مرة ؟؟أحلال عليك الحب وحرام على قلبي الصغير؟؟ لم أجد من يدافع عني حتى أمي تخلت عني وتركتني أُعاقب بذنب الحب، ربما لأنها لم تعرف الحب مع أبي أوقبله، أما أبي فكان يريد قتلي للتخلص من الفضيحة والعار الذي جلبته عليه بحب ابن شخص هو يبغضه. علم عمر من أختي الصغيرة بما حدث فقرر أن يتقدم للزواج بي رغم أنه لم ينتهي من دراسته الجامعية بعد، فكان مصيره الرفض والإهانة من أبي وأخي والسبب المعلن أنه مازال يأخذ مصروفه من أبيه ولا يمكنه فتح بيت،أما السبب الخفي فكان رغبة أبي في الإنتقام من والد عمر الذي رفض في الماضي تزويج أبي بابنة عمه وتزوجها هو.

الجميع تأمر علينا و وأدوا حبنا وأهالوا عليه التراب لأن قلوبهم لم تعرف الحب إنما عرفت الكراهية والحقد فقط. بعد تحطم أمالنا وإغلاق كل الأبواب أمام حب برىء يريد أن يكبر في النورسافر عمر بعد أن أنهى إمتحاناته للعمل في الخارج وحصلت أنا على منحة دراسية في أمريكا وافق أبي على سفري ليبعدني عن عمر وخاصة وأن خالتي الثرية تقيم هناك بعد وفاة زوجها ولأنها لم تنجب أرسلني أبي لأكون معها حتى تمنحني كل ثروتها، فأبي كان يحب المال أكثر منا فلم بال بم يحدث لي في الغربة بقدر اهتمامه بالمال.صارت خالتي أما لي وربما أحن من أمي علي لأنها كانت تعرف معنى الحب وكانت دائما تبث الأمل في قلبي ،لكن أين هو الحب فقد انقطعت عني أخبار عمر، حاولت الاتصال بكل معارفه لكن أحدا لم يخبرني بشئ وكأن عمر ليس له وجود،اختفى فجأة كل أثر له ولم أعد أعرف له طريق،ربما أراد الجميع لنا أن نبتعد عن بعضنا،غرقت في الدراسه والعمل لعلي أنسى، وأنى لقلبي العاشق النسيان؟؟!!!

وبعد أن ولت سنوات الشباب وتوليت المناصب الكبرى وجمعت المال توفيت خالتي كأنها أدت رسالتها التي كانت تعيش من أجلها، وقفت في عزائها فوجدت نفسي أعيش في هذا العالم بمفردي بلا أهل ولا حبيب ولا أبناء، وحيدة في بلد غريب فقررت العوده لبلدي ولأهلي وعائلتي ورغم موت والداي إلا أني مشتاقة لدفء الأهل والوطن .

ركبت الطائرة وأنا أحلم بتعويض مافاتني بين أهلي وفي حضن الوطن ،بعد هبوط الطائرة سمعت صوت محبب لقلبي لكني لم أصدق نفسي كان يقول للمضيفة :

-من فضلك سلمي على كابتن شريف وقوليله عمر الشاذلي بيقولك مستني منك تليفون واديله الكارت بتاعي

مستحيل بعد كل تلك السنوات نلتقي على متن الطائرة أثناء عودتي؟؟ التفت ببطء ونظرت إليه فوجدته هو عمر.تلاقت العيون وضجت القلوب بصخبها ونسينا الكون كله لفترة لم أحسبها من عمري حتى ابتسم وقال:

-راندا مش معقول؟؟بعد كل السنين دي نتقابل؟؟أنا مش مصدق نفسي

لم أقو على الكلام إنما مددت له يدي كأنني أتشبث به وأريد أن أتأكد أنه واقع وليس حلما، قالت العيون الكثير وخفقات القلب قالت أكثر، حتى انتبهنا على صوت المضيفة وهي تنبهنا بضرورة مغادرة الطائرة، فقال عمر:

-فيه حد مستنيكي؟؟

-عادل أخويا وأحمد إبنه

-خلاص خدي الكارت بتاعي فيه أرقامي وكلميني ضروري

-أكيد

كان علينا أن نفترق مرة أخرى لكني أصررت أن يكون فراقا مؤقتا، ربما في الماضي كان قدرنا الفراق لكن اليوم لن أتركه يضيع مني مرة أخرى مهما كان الثمن.قابلني عادل بمودة- لم أعتدها منه- هو وأحمد الذي ظل يسألني عن أمريكا والحياةفيها وسبب عودتي وأنا أجيبه ضاحكة وأقول:

-ولا أجمل من مصر وترابها وناسها

-أصلك ياعمتو لسه ماجربتيش ترابها ولا عاملتي ناسها بعد شهر هنشوف رأيك إيه في الناس والتراب

وصلنا بيت عادل فرحبت بنا زوجته ناهد وابنتيه التوأم رنا وهنا وتناولنا الطعام معا وطلبت من عادل أن أذهب لبيت والدي فرفض فأصررت على ذلك وقلت جادة :

-أنا مش راندا الصغيره اللي هتتحكم فيها أنا راندا مديرة شركه من الشركات الكبيرة في أمريكا يعني مسئوله عن نفسي وتصرفاتي وباحب أعيش في بيتي مش ضيفه عند حد

قالت ناهد لتخفيف حدة الحوار:

-عادل قصده إن ده برضه بيتك يا راندا وعموما المكان اللي تلاقي فيه راحتك عيشي فيه وكلنا هنكون حواليكي

- طبعا يا ناهد أنا فاهمه ان ده خوف عليه عموما شكراعلى تعبك يا ناهد يالا يا أحمد تعالى وصلني

-أؤمريني ياعمتو

تنفست ناهد الصعداء فقد كانت تحمل هم معيشة راندا معها وتدخلها في حياتها مما قد يفقدها سيطرتها التامة على عادل وأمواله ، فرغم شدة عادل إلا أن ناهد بمكر أنثوي إستطاعت أن تسيطرعليه وعندما علمت بعودة راندا وثراءها قررت أن تكسبها لينالهم جزء من مالها- ان لم يكن كله- في حياتها او بعد موتها.

دخلت راندا البيت الذي كان مغلقا منذ فترة طويلة وكل الأثاث مغطى بملاءات قديمة ، فتحت الشبابيك ودخلت غرفتها وارتمت على سريرها وأحمد يتعجب من حالها . شعرت أن سنوات عمرها لم تمر وأنها عادت راندا الصغيرة الطالبة في المرحلة الثانوية. انتبهت على صوت أحمد يقول:

-أبات معاكي ياعمتو عشان متخافيش؟؟

-لا يا حبيبي سيبني النهارده ولما هاعوزك هاكلمك ورتب نفسك إنك من هنا ورايح مدير أعمالي

انقض عليها يقبلها ويحتضنها ويقول:

-حبيبتي ياعمتو مدير أعمالك وسواقك وممكن فراشك كمان بس توعديني تساعديني على الهجرة لأمريكا

-نتكلم بعدين سيبني دلوقتي عايزه أفضل لوحدي

-مش عايزه حاجه أجيبهالك قبل ما أمشي؟؟

-أه هاتلي خط مصري

-عيوني

اشترى لها خط موبايل مصري قام بتشغيله وسجل لها رقمه ورقم والده و انصرف. نامت على سريرها وأخرجت الكارت من حقيبتها وسجلت رقم عمر على هاتفها ثم أرسلت له رسالة على الواتس أب قالت فيها:

(أنا راندا ياعمر)

جاءها الرد (دقايق وأكلمك)

فتحت راديو الموبايل على الإذاعة المصرية فوجدت كوكب الشرق أم كلثوم تشدو وتقول (ودارت الايام ومرت الأيام وقابلته ونسيت اني خاصمته ونسيت الليل اللي سهرته وسامحت عذاب قلبي وحيرته ما اعرفش ازاي انا كلمته ما اقدرش على بعد حبيبي انا ليه مين إلا حبيبي)..وكأنها كانت رساله خاصه لي.

مرت الدقائق كأنها سنوات على قلبها وأخيرا رن هاتفها:

-راندا وحشتيني

-عمر أنا لسه مش مصدقه إننا إتقابلنا بعد كل السنين دي وكأن القدر مصر إنه يجمعنا تاني

-لسه بتحبيني؟؟

لم أجبه بلساني إنما أجاب قلبي :- أكتر من زمان

فقال:- أنا بقى بحبك أكتر من زمان لما سافرت ورجعت لقيتك سافرتي وانقطعت أخبارك يأست من حياتي كلها وبعدين أمي صممت تجوزني بنت أختها فاتجوزت لكن قلبي لسه معاكي وإنتي اتجوزتي؟؟

-لاقلبي ولا عقلي ولا جسمي طاوعوني يكونوا لغيرك ياعمر

-ياااه يا رندا وحشني صوتك وكلامك ورقة مشاعرك..احكيلي عملتي إيه كل السنين دي؟؟

حكت له كل ما حدث لها حتى شغلت منصب كبيرفي إحدى شركات البرمجة رغم صغر سنها وعندما ماتت خالتها شعرت بالوحدة فقررت العودة،فسألها:

-وطبعا ورثتي خالتك؟؟

-هي كتبت لي كل أملاكها بيع وشرا لكن بعد وفاتها قسمت الورث شرعا بيني وبين إخواتي حتى حق أختي نهله بعتهولها الإمارات

-معقوله حد لسه بيعمل كده؟ لكن لسه باقي معاكي مبلغ كبير؟؟

-أه مع فلوس شغلي يعتبر كويس

-وناويه تعملي إيه؟؟

-هافتح شركة برمجيات على أعلى مستوى

-الكلام في التليفون مش هينفع عايز أقابلك وأملا عيني منك ونعوض اللي فاتنا

-بس مراتك وولادك انا مش هاكون سبب في هدم بيتك

-مافيش بس كفايه اللي ضاع من عمرنا نتقابل وبعد كده نفكر

اندفعت في حبي وحنيني بقوه بدون عقل ولا تفكير كأني مازلت راندا ابنة السبعة عشر عاما ، حتى صرنا نلتقي كل يوم تقريبا بعد نهاية عمله وننهل من نبع الحب ولم نرتوي بعد،كنت كمراهقه صغيرة مندفعة في حبها لاتبالي بعقاب أبيها ولابنظرات المجتمع .كنت أغني دائما وأقول (أهرب من قلبي أروح على فين (ليالينا الحلوه في كل مكان مليناها حب إحنا الاتنين ومليناالدنيا أمل وحنان .

كان يسمعني كلمات الحب كماكنا صغارا ويتغزل بجمالي الذي لم تبدله السنوات.

خلال تلك الفترةأسست شركتي واخترت الموظفين فيها بنفسي وعينت أحمد مديرا لمكتبي وقلت له:

-في الشغل مافيش عمتو أنا هنا مديرتك ،أسرار الشغل ما تطلعش بره ولا لبابا ولا ماما ولا حتى بينك وبين نفسك، أي غلطه هتتعاقب زيك زي أي موظف أنا ماعنديش إستثناءات،أتمنى يكون كلامي مفهوم

-حاضر يافندم بس لما نروح هاقولك ياورو

ضحكت فقد أسرني أحمد ببراءته وخفة دمه فهو يختلف تماما عن عادل،فهو مرح ،سريع التعلم ،طموح.

بعد نحو أربعة أشهرمن العمل الشاق كنت أعددت شركتي لتبدأ عملها وقبل الإفتتاح فاجأني عمر برغبته في الزواج مني فرفضت بشدة من أجل بيته وأولاده فقال:

-أنا ومراتي جوازنا رسمي من غير حب ولا عواطف وعايشين مع بعض عشان الولاد وبس لكن من حقي أتجوز حب عمري وأستمتع باقي عمري معاها، حرام عليكي هنقضي عمرنا كله نحب بعض ونتعذب ؟مش فاضل في العمر أد اللي راح خلينا نعيش لنفسنا شويه.

-ما بحبش دور الشريرة في الروايه ومراتك وولادك يكرهوني

-مش هينقص منهم أي حاجه وهاقولهم مش هاخبي عليهم مش أنا الراجل اللي يتدارى لما يعمل الحلال ويتباهى لما يعمل الحرام، ده حقي شرعا ومش من حق أي حد يحرمني منه.

-عمر خايفه على حبنا تقتله المشاكل

-مافيش حاجه ممكن تقتل حبنا أبدا ومافيش مشاكل إن شاء الله

استجبت له فقد كنت أريد الزواج منه بشدة لعلي أنعم بالسعادة التي حُرمت منها سنوات وسنوات. تم الزواج خلال أسبوع وكنت أسعد مخلوقة على ظهر الأرض بحب عمر ورقته في التعامل معي، لم أشعر أني مازلت فتاة صغيرة إلا معه، يبدو أن الله أراد أن يعوضني بعمر حرمان السنين.اشترى لي عمر شقة قريبة من مقر شركتي توفيرا للوقت وكان يقضي معي ثلاثة أيام ومع سها زوجته الأولى ثلاثة أيام وكنت اتعجب من رضائها وصمتها حتى لو لم تكن تحبه فهو زوجها ألا تدافع عن وجودها في حياته؟ كيف تقبلت هذا بسهولة؟؟ألا تغار عليه؟؟ترى هل تكرهه؟؟هل تحب غيره؟؟فصمتها مريب.كنت أغار عليه من سها حتى لو كانت علاقتهما رسمية كما يقول فمن تحب لا تتحمل أن يكون زوجها لأخرى، لكني تحكمت في غيرتي حتى لا أكون سببا في مشاكل عمر.

مضت الشهور الأولى من حياتنا كلها كشهر عسل ممتد لم يكن يعكرها سوى بعض الخلافات مع عادل الذي كان يكره عمر واتهمه بأنه طامع في مالي لإنقاذ شركته من الإفلاس ونفى عمر ذلك وقال أنه ليس طامع سوى في قلبي أن يكون معه وله للأبد، لم أهتم طبعا بكلام عادل فهويكره عمر منذ أمد بعيد وعادل كان

يريد السيطرة على أموالي والتحكم فيها كأنني مازلت قاصرا وأحتاج لوصايته ولما رفضت بدأ في افتعال المشاكل هو وزوجته.

بعد ثلاثة أشهر من زواجنا بدأ عمر يتغير فصار قليل الكلام ولم يعد يمطرني بكلمات الحب كما اعتدت وبدا عصبيا بعض الشيء ولما سألته عن السبب قال إنه يعاني من ضغوط العمل.كنت أهفو لطفل يملأ علي حياتي وخاصة من عمر حب عمري لكني فوجئت برفض عمر وفي كل مره يخترع حجة مختلفة فمرة يقول لي أننا كبرنا في السن ولن نعيش لنربي ذلك الطفل ، ومرة يقول أن ظروفه المالية لا تحتمل وجود طفل أخر مع أولاده الثلاثة، وفي أخر مره قالها لي بقسوة أوجعتني:

-طفل إيه اللي عايزه تخلفيه؟إنتي مش شايفه سنك اللي مقرب على الأربعين؟إنتي مش عارفه إن الحمل في السن ده ممكن يجيب طفل معاق؟ هتقدري تسيبي شغلك وتقعدي تراعيه؟ سيبك من هيافة الستات دي

-عمر إنت عندك أولاد ومتمتع بيهم أنا كمان من حقي يكون عندي طفل منك يملا حياتي ولو على الرزق ده بتاع ربنا وحتى لو جه معاق يبقى ده قدرنا ،أرجوك يا عمر ماتحرمنيش من حلم عمري

-أخر كلام عندي مش عايز أطفال ولو حصل حمل إعرفي إن ده أخر يوم في جوازنا،إختاري أنا ولا الطفل؟

تركني وخرج وأنا غير مصدقة أن عمر بكل تلك القسوة والأنانية،لم يعد يبالي بمشاعري ولا رغباتي،صار شخصا أخر لا أعرفه، شخص لديه إستعداد أن يجرح مشاعري بسهولة ولا يهتم بألامي.

مضت حياتي معه بين محاولات إسترضائي حينا وبين حدة وعصبية أحيانا وكان علي أن أحتمل نوبات غضبه وأحتويها حتى تمضي بنا الحياة. بعد ستة أشهر من زواجنا طلب مني عمر مبلغا من المال لأن بعض مشروعاته تحتاج لسيولة غير متوافرة معه فأخبرته أن المبلغ ليس تحت يدي حاليا فطلب أن أجهزه في أسرع وقت فطالبته بأن يكتب لي شيكا أو إيصال أمانة لضمان حقي، فثار ثورة عارمة وهاج وقال:

-المفروض يا هانم إنك واثقه فيه وإن فلوسنا واحده ومافيش بيننا فرق

-لأ فيه فرق فلوسي مش هتروحلك لوحدك لأ هتروح لمراتك وولادك كمان يعني أنا أتغرب وأشقى وأتعب وهم يتمتعوا، كمان ده ضمان إن ليه عندك مبلغ مالي لو حصل لأي حد فينا حاجه يبقى فيه ورق مكتوب يثبت الحقوق والحق مايزعلش حد.

-بين الراجل ومراته مافيش حقوق ولا ضمانات

-مين قال كده إذا كان الدين خلى للست ذمة ماليه لوحدها ومش من حق جوزها يحاسبها على فلوسها وهي حره تعمل فيهم اللي هي عايزاه كمان أنا باسلفك يبقى من حقي أضمن فلوسي ولو انت هتستلف من أي حد هتقوله إنك محل ثقه؟؟كمان فيه أيه في القرأن في سورة البقره بتقول لما يكون فيه دين نكتبه ونشهد عليه ناس يعني ده شرع ربنا مش حاجه من عندي

-هو إنتي زي أي حد؟؟إنتي مراتي يعني إحنا الإتنين واحد ومافيش فرق بيننا، هو ده الحب اللي بيننا يا راندا؟؟

-وعشان أنا مراتك وحبيبتك محرم عليه الخلفه عشان إنت عندك أولاد وحارمني من حق الأمومه؟ وعشان أن حبيبتك عايز تاخد فلوسي وتكبر تجارتك وتصرفهم على أولادك؟ هو ده الحب يا عمر؟ سوري البيزنس مافيهوش مشاعر تاخد الفلوس تديني ضمان ولا إنت مش ناوي ترجعهم؟؟

- حتى لو مارجعتهمش فيها إيه إنتي مراتي وفلوسنا واحده؟؟ سها كان معاها حق قالتلي الحب عاميك عن حقيقتها دي بقت أمريكانيه ومش هتكون أصيلة ولا تشيلك زي المصريه

-لما ده رأي سها ما أخدتش من والدها ليه مش بتقول غني؟؟

-لما اتجوزتك رفض يديني كنت فاكرك هتقفي جنبي لكن للأسف الفلوس غيرتك مش إنتي راندا اللي حبيتها زمان اللي كانت هتموت نفسها لما أهلها رفضوا يجوزونا ياريتني ما اتجوزتك

- أيوه بقى اظهر على حقيقتك يعني عادل كان صح سبب الجواز مش الحب إنما الفلوس، وأنا اللي كنت مصدقاك إنك لسه بتحبني وفضلت عمري كله باستناك وبحلم بحياه أعيشها معاك؟؟ طالما إنت ندمان على جوازك مني خلاص طلقني

-وتدفعي كام؟؟

- ياااه هو ده عمر اللي كنت هاهرب من أهلي عشانه؟؟ ولا كنت هاموت نفسي عشانه؟؟ واللي خسرت أخويا زمان ودلوقتي عشانه؟؟ هي دي كانت حقيقتك وأنا مش شايفاها ولا إنت أتغيرت؟تتجوزني عشان الفلوس ولما تطلقني برضه عايز فلوس؟

-إنتي اللي هبله ولسه عايشه دور المراهقه وعايزه تعوضي اللي فات ومش قادرة تفهمي ان اللي فات مابيرجعش؟وان الزمن بيغير الناس؟؟حب إيه اللي بتدوري عليه في السن ده؟ ماتبصي في المرايه يا مدام وتشوفي علامات السن على وشك؟ دلوقتي محدش بيدور على الحب كله بيدور على مصلحته واحمدي ربنا إني إتجوزت واحده في سنك وعيال إيه اللي عايزة تخلفيهم في السن ده

-تصدق إنت صح وبما إني بقيت أمريكانيه هادور على مصلحتي

-أخر كلام عندي تديني الفلوس تفضلي مراتي وحبيبتي عايزة تطلقي هتديني برضه الفوس قصاد حريتك قدامك يومين فكري ومستني ردك.

خرج وتركها تبكي الحب الذي خدعها و أضاعها مرتين، في المرة الأولى تحطمت وضيعت سنوات شبابها تحت وهم الحب وفي المرة الثانية عادت لتبحث عن الحب في زمن خلا من الحب والمشاعر، زمن لاحب ولا قرابة ولا صداقة فيه إنما أهم شئ المال، زمن مادي جاف ،كانت تظن أن الحياة في أمريكا فقط جافة لغياب الأهل والأحبة لكنها اكتشفت ان العدوى أصابت الجميع وجفت مشاعرمعظم البشر وأن الحب كلام جميل في رواية أو فيلم أو قصيدة شعر فقط أما الواقع فقصص الحب فيه مجرد سراب خادع.

في المساء جاءها إتصال من زوجته التي قالت لها:

- إزيك يا مدام؟ أخبار الجواز إيه؟ أتمنى تكوني مبسوطةعرفتي ليه مامانعتش في جوزاكم ولا وقفت ضده؟لأنه بقى مايلزمنيش،سنين بيجري ورايا ووراا أبويا الغني لحد مارضينا بيه ولما كبرعلى حسنا بقى واحد تاني مادي جشع كل همه مصلحته ونسي اللي وقفوا جنبه ولماقابلك لاقاكي صيده سهله وفلوسك هتعوض خسارته فرسم عليكي دور روميو العاشق وهو فاهم إنه هيغرف من فلوسك

-ولما انتي عارفه حقيقته مكمله معاه ليه؟

-عشان ولادي مستنياهم بس يقفوا على رجليهم وبعد كده هارميه زي مارماني

أدركت أنه ممثل بارع ولايستحق حزنيتمالكت نفسي وطلبت من أحمد أن يحضر إلي،عندما حضر وجد المحامي لدي الذي طلب مني عمل توكيل لأحمد لإدارة الشركة أثناء سفري ويكون بالإدارة فقط وعدم التصرف ماليا . حجزت على أول طائرة تغادر إلى نيويورك تاركة كل شيء ورائي ، كنت أظن أني سأجد السعادة هنا ولكن لم أجد سوى الحزن الذي أحرق روحي وحطم قلبي، غادرت دون أن أخبر أحد أو حتى أودع أحد فلم يعد لي أحد هنا حتى أخي كل همه مالي فقط. تركت لأحمد الشركة ليديرها حتى أجد مشتريا مناسبا لها ووعدت أحمد أن أرسل له ليلحق بي وأحقق له حلمه في الهجرة فهو الوحيد الذي ربما أحبني قليلا.

كم من أوطان نكون غرباء فيها تكون أحن علينا من أوطاننا وأهلها.

خلال فتره بسيطةوجدت مشتريا لشركتي من خلال بعض أصدقائي وسافرت لدبي لإتمام صفقة البيع ورفعت في نيويورك قضية طلاق كمواطنة أمريكية من زوجها المصري وكسبتها وأجبرته على الطلاق دون أن دفع مليما واحدا له بل وتنازلت عن حقي في نصف ممتلكاته وفقا للقانون الأمريكي.عدت لعملي ووحدتي بقلب محطم ونفس ضائعة، علمتها تجربتها أن السنوات قادرة على أن تحدث تغييرا رهيبا في النفوس والقلوب، أيقنت أن الحب هو وهم لذيذ نغرق فيه بكامل إرادتنا لكنه سرعان ما يتحطم على صخرة الواقع المادي البارد

وتذكرت أول لقاء لي بعمر ونظرة الشوق الكاذبه، ومرت ببالي أغنية أم كلثوم ودارت الأيام فقلت بيني وبين نفسي بسخرية (الله يسامحك يا ست علمتينا الحب وصرنا نؤمن بوجود حب حقيقي فعلا وصدمتنا الحياة بواقع خالي من الحب الصادق ،زمن الحب لغرض، زمن المصالح فقط، حقا لقد دارت الأيام لكنها دارت على قلبي ومرت على روحي وحولتها لحطام.

تمت